٣١٨

١

الجزء الثاني من كتاب الشفا

تأليف
الشيخ الإمام العالم العلا[illegible]
الفا[illegible]
بن موسى بن عمر[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] المنطق

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استعين

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه صلى الله عليه وسلم

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة
ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه
واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة عليه والتسليم
وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته
وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله و
رسوله والنور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
لتؤمنوا بالله ورسوله وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية
فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به
ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي
عليه ثنا الامام ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن
سفيان ثنا ابو الحسين ثنا امية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا روح
عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان

لا اله

لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
والايمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه
في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة
اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة
بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث
نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث
جبريل عليه السلام اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان
الاسلام ثم ساله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان
والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة
التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب
وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اي كاذبون في قولهم

وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم
ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه
إذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار وبقي
عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا
المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه
من علامات الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا
بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم
ذلك وقال هلا شققت عن قلبه ٥ والفرق بين القول والعقد
ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان
وبقيت حالتان أخريان بين هذين إحداهما أن يصدق بقلبه
ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط
بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا
مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في
قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن
بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه
الثانية أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة
لم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة واحدة فهذا اختلف فيه

أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص
بتركها غير مخلد في النار وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اللسان
إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا
يتم التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح وهذه نبذ تفضي
إلى متسع من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي
الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق
لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل أو قد يعرض فيه
لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد
ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج
عن غرض التأليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا إن شاء الله تعالى ٥

فصل وأما وجوب طاعته فإذا وجب الإيمان به وتصديقه
فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال قل أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون وقال وإن تطيعوه تهتدوا وقال ومن
يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول
فأولئك الآية وقال وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ٥

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فآمنوا
بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون
وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم إلى قوله ويسلموا
تسليما أي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم وأسلم إذا انقاد
وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر الآية وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله الأسوة
في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل
وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه
وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم قال
بمتابعة السنة فأمرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لأن الله
أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم إلى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته
إذا اتبعوه وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم وأن صحة إيمانهم
بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن
أن أقواما قالوا يا رسول الله إنا نحب الله فأنزل الله تعالى قل إن
كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وروي أن الآية نزلت في كعب
بن الأشرف وغيره وأنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أشد حبا

لله فأنزل الله الآية وقال الزجاج معناه إن كنتم تحبون الله أن
تقصدوا طاعته فافعلوا ما أمركم به إذ محبة العبد لله والرسول طاعته
لهما ورضاه بما أمرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم
برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما

قال القائل

تعصي الإله وأنت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته • إن المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له
وإرادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري
فإذا كان بمعنى الرحمة والإرادة والمدح كان من صفات الذات
وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا
أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه قال نا أبو الأصبغ عيسى بن سهل
ح وحدثنا أبو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا نا حاتم
بن محمد قال نا أبو حفص الجهني نا أبو بكر الآجري نا إبراهيم بن موسى
الجوزي نا داود بن رشيد نا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد
بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن
العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

6 فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك
جزيل الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره
واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في
التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما أرسل الله من رسول إلا فرض
طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع
الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال
وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال أطيعوا الله
في فرائضه والرسول في سنته وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم
والرسول فيما بلغكم ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبي بالشهادة له بالرسالة حدثنا أبو محمد بن عتاب بالنبوة
بقراءتي عليه نا حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف نا محمد بن
أحمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبدان نا عبد الله نا يونس
عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة
يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع
الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أمري فقد أطاعني أميري
ومن عصا أميري فقد عصاني ه فطاعة الرسول من طاعة الله أمري
إذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له ه

وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في 7
النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا
ينفعهم التمني وقال عليه السلام إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا
أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ه وفي حديث أبي هريرة عنه
عليه السلام كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله ومن
يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ه وفي الحديث
الآخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل
أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان
فالنجا فالنجا فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا
وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب
بما جئت به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل
فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة
ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار
الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع
الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فصل
وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال الله تعالى

10 فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة
ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث
أبي رافع عنه عليه السلام لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته
يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة رضي الله عنها
صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال
قوم يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم
له خشية وروي عنه عليه السلام أنه قال القرآن صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه
وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي
خسر الدنيا والآخرة أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا
أمري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال
الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن
سنتي فليس مني وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر 11
الأمور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله عليه
وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة
أو فريضة عادلة وعن الحسن بن أبي الحسن قال قال عليه السلام عمل قليل
في سنة خير من عمل كثير في بدعة ه وقال عليه السلام إن الله
يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد
وقال عليه السلام إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين
ملة وإن أمتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة قالوا
ومن هم يا رسول الله قال الذي أنا عليه اليوم وأصحابي وعن أنس
قال عليه السلام من أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي
وعن عمرو بن عوف المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لبلال بن الحرث من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من
الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع
بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا
ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا فصل وأما ما ورد عن السلف
والأئمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته حدثنا الشيخ أبو عمران موسى

بن عبد الرحمن بن أبي تليد الفقيه سماعًا عليه قال نا أبو عمر الحافظ نا سعيد
بن نصر نا قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة قالا نا محمد بن وضاح نا يحيى بن يحيى
نا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أسيد أنه سأل عبد الله
بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في
القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن أخي إن الله بعث إلينا
محمدًا ولا نعلم شيئًا فإنما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز
سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننًا الأخذ بها
تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد
تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها مهتد
ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه
الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا وقال الحسن بن أبي
الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب
بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب
عمر بن الخطاب تعلموا السنة والفرائض واللحن أي اللغة وقال
إن ناسًا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن
أعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين
فقال أصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي بن

قرن فقال له عثمان تراني أنهى الناس عنه وتفعله قال لم أكن لأدع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس وعنه ألا
إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى
الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد
في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان
من خالف السنة كفر وقال أبي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة
فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه
من خشية ربه فيعذبه الله أبدًا وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل
شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها
ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحاتت عن الشجرة ورقها
فإن اقتصادًا في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة
وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادًا أو اقتصادًا أن يكون على
منهاج الأنبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إلى
عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة أو يحملهم على البينة
وما جرت عليه السنة فكتب إليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة
فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله وعن عطاء في قوله فإن تنازعتم

في شيء فردوه إلى الله والرسول أي إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الشافعي رحمه الله ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا اتباعها وقال عمر ونظر إلى الحجر الأسود إنك حجر لا تنفع ولا تضر
ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك
ثم قبله ورئي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا
أدري إلا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته
وقال أبو عثمان الحيري من أمر السنة على نفسه قولًا وفعلًا
نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل
التستري أصول مذهبنا ثلاثة الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم
في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص النية في
جميع الأعمال وجا في تفسير قوله والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن أحمد بن حنبل
قال كنت يومًا مع جماعة تجردوا ودخلوا الما فاستعملت الحديث
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد
فرأيت تلك الليلة قائلًا لي يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك
السنة وجعلك إمامًا يقتدى بك قلت من أنت قال جبريل

فصل ومخالفة أمره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد

من الله تعالى عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون
عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقال ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى
الآية حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر وعبد الرحمن بن عتاب
بقراءتي عليهما قالا نا أبو القسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن القابسي نا أبو
الحسن بن مسرور الدباغ نا أحمد بن أبي سليمان نا سحنون بن سعيد
نا ابن القسم نا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة وذكر الحديث
في صفة أمته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال
فأناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول
فسحقًا فسحقًا فسحقًا وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم من أدخل
في أمرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن أبي رافع عن أبيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من
أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب
الله اتبعناه زاد في حديث المقدام ألا وإن ما حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجئتكم بها

في كتف كفى بقوم حمقاً أو قال ضلالاً أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه السلم هلك المتنطعون وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ ٥

الباب الثاني في لزوم محبته عليه السلم

قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا أبو علي الغساني الحافظ فيما أجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال نا سراج بن عبد الله القاضي نا أبو محمد الأصيلي نا المروزي نا أبو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن إسمعيل نا يعقوب بن إبرهيم نا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وعن أبي هريرة نحوه ٥

وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الأحوال ويرى نفسه في ملكه عليه الصلوة السلام لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه الحديث ٥

فصل في ثواب محبته عليه السلام

حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا أبو القسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن خلف نا أبو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسمعيل نا عبدان نا أبي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن أنس أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم

قال

فأتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك أبايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله إني أحبك قال المرء مع من أحب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس وعن أبي ذر بمعناه وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي وأمي أتمتع من النظر إليك فإذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية ٥ وفي حديث أنس من أحبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له

حدثنا القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفين نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل

عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله ومثله عن أبي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي عن أبي بكر أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس أن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن إسحق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيراً هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن أبي طالب كيف كان حبكم

لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا
وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ وعن زيد بن أسلم خرج عمر ليلة
يحرس فرأى مصباحا في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول
على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواما بكا بالأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي
الحكاية طول وروي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه خدرت رجله
فقيل له اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت
ولما احتضر بلال رضي الله عنه نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه
غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه ويروى أن امرأة قالت
لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة
من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفين بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب
أن محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد
والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة
وأنا جالس في أهلي فقال أبو سفين ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا
كحب أصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت

المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم أحلفها بالله ما خرجت من بغض زوج
ولا رغبة عنه بأرض عن أرض وما خرجت إلا حبا لله ورسوله
ووقف ابن عمر على ابن الزبير رضي الله عنهم بعد قتله فاستغفر له وقال
كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل
في علامة محبته عليه السلام

قال المؤلف رحمه الله تعالى
اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه
وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر
عليه علامات ذلك وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله
وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في
عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل
إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وإيثار ما شرعه وحض
عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين
تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة وإسخاط العباد في رضى الله تعالى حدثنا القاضي أبو علي الحافظ
نا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا نا أبو يعلى البغدادي
نا أبو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا أبو عيسى نا مسلم بن حاتم نا محمد بن عبد الله

الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن
مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح
وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن
أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه
الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفهما في بعض هذه الأمور
فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام للذي
حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم
لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ومن علامات محبته كثرة ذكره
له فمن أحب شيئا أكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه إلى لقائه فكل حبيب
يحب لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا
يرتجزون غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال ومثله
قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته
مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع
والانكسار مع سماع اسمه قال إسحق التجيبي كان أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت
جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك
محبة له وشوقا إليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته

لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته
والمهاجرين والأنصار وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم
فمن أحب شيئا أحب من يحب وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم
إني أحبهما فأحبهما وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه وقال من أحبهما
فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد أبغضني فقد أبغض
الله وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا
فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد
آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال في فاطمة
إنها بضعة مني يغضبني ما أغضبها وقال لعائشة في أسامة بن زيد
أحبيه فإني أحبه وقال آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم
وفي حديث ابن عمر من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب
فببغضي أبغضهم فبالحقيقة من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه وهذه
سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس حين
رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت
أحب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن
جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ

بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك **ومنها** بغض من
أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع
في دينه واستثقاله كل أمر يخالف شريعته **قال** الله تعالى لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء
أصحابه عليه السلام قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته
وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول لو شئت لأتيتك برأسه
يعني أباه **ومنها** أن يحب القرآن الذي أتى به عليه السلام وهدى به
واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدوده
قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب
القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي عليه السلام حب
السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا
وعلامة بغض الدنيا ألا يدخر منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة **وقال**
ابن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن
فهو يحب الله ورسوله **ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم**
شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم
كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا رحيما **ومن علامة تمام محبته**

زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام
لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي
أو الجبل إلى أسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى
الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك فقال انظر ما تقول قال والله إني أحبك
ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث
أبي سعيد بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي صلى

الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة
النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع
بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال فقال سفيان
المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه التفت إلى قوله تعالى
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول
اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته
وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر إيثار المحبوب
وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب
لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل
القلب إلى موافق له وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات
المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون

والتشيع من أمة في أخرى ح هذه نسخة سماع أصل أبي الخير

موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة
والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها
له أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة
الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال
الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعـ
بقوم لقوم ~~بلغ الشغف بقوم التعصب~~ لقوم والتشيع من أمة في أخرى
ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس أو تكون
حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه إليه وإنعامه عليه فقد جبلت
النفوس على حب من أحسن إليها فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه
الأسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت أنه عليه السلام جامع لهذه
المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة إما جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق
والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة
وأما إحسانه وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى
له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذه
بهم من النار وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا
ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم فأي إحسان أجل

قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين وأي إفضال أعم منفعة
وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية
ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم
وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم
السرمد فقد استبان لك أنه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية
شرعا لما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة لما ذكرناه آنفا لإفاضة
الإحسان وعمومه الإجمال فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه
مرة أو مرتين معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها
قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب
الجحيم أولى بالحب وإذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما
يؤثر من قوام طريقته أو قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم
شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى
بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام من رآه
بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه وذكرنا عن بعض الصحابة أنه كان
لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم **فصل في وجوب
مناصحته صلى الله عليه وسلم** قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما

يُنفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم
قال أهل التفسير إذا نصحوا لله ورسوله إذا كانوا مخلصين مسلمين
في السر والعلانية حدثنا القاضي الفقيه أبو الوليد بقراءتي عليه ثنا حسين
بن محمد ثنا يوسف بن عبد الله ثنا ابن عبد المؤمن ثنا أبو بكر التمار ثنا
أبو داود ثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد
عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدين
النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله
ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم قال أئمتنا رحمهم الله
النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الإمام
أبو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح
له وليس يمكن أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة
الإخلاص من قولهم نصحت العسل إذا خلصته من شمعه وقال أبو بكر
بن أبي إسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ
من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال أبو إسحاق
الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه
بما هو أهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من ساخطه

ح ولأئمة

هو الخطابي

والإخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته
والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل
الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته
وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه قاله أبو سليمان وقال أبو
بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا وإحياء سنته بالطلب
والذب عنها ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال
أبو إبراهيم إسحاق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق
بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة إلى الله وإلى
كتابه وإلى رسوله وإليها وإلى العمل بها وقال أحمد بن محمد من مفروضات
القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر
الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته
نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة
له وبذل النفوس والأموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الآية وقال وينصرون الله ورسوله الآية وأما نصيحة المسلمين
له بعد وفاته فالتزام التوقير والإجلال وشدة المحبة له والمثابرة على
تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب
عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على أمته والبحث

ح نصيحة

عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكرناه تكون النصيحة
إحدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى
الإمام أبو القاسم القشيري أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان
ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله
بك قال غفر لي فقيل له بماذا قال صعدت في ذروة جبل يوما فأشرفت
على جنودي فأعجبتني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي وأما
النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به
وتذكيرهم إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم
عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد
قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم
في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم
ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم

الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره

صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال
يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا أيها الذين آمنوا

ح رؤي في

ح غفر

ح وتنبيههم

ح وتضريب القوم الإغراء بينهم

في سورة الفتح انا ارسلناك ... في الاحزاب يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه الاية ولعل المصنف ... بالاية التي في الاحزاب ... التي في الفتح ... الناسخ

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الآيات وقال لا
تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فأوجب الله تعزيره
وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه
وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الأخفش تنصرونه وقال
الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزايين من العز ونهى عن التقدم
بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس
وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن
يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء
أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال أو غيره من
أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به وإلى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد
والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك
فقال واتقوا الله إن الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في
التقدم وقال السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع
لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له
بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم
بعضا باسمه قال أبو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له
بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه

ح فأنصتوا له واستمعوا

ح إن الله

وناداهُ بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله
في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على
أحد القولين وقال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم خوّفهم الله تعالى
بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذّرهم منه قيل نزلت الآية في
وفد بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه
يا محمد يا محمد اخرج إلينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم
لا يعقلون ٥ وقيل نزلت الآية الأولى في محاورة كانت بين أبي
بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما
حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه
صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي
أن يكون حبط عمله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله
لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ
جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى أن
تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي أن أبا
بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها
أبدا إلا كأخي السرار وأن عمر كان إذا حدثه حدثه كأخي السرار

ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه
فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وقيل نزلت
إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون في غير وفد
بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله
عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري أيا محمد أيا محمد
أيا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين
هي لغة كانت في الأنصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه
وسلم وتبجيلا له لأن معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها
كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم بل حقه أن يرعى على كل حال ٥ وقيل
كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون
عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ
وقيل غير هذا **فصل** في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام
حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي بسماعي عليهما
في آخرين قالوا نا أحمد بن عمر نا أحمد بن الحسن نا محمد بن عيسى نا ابرهيم
بن سفيان نا مسلم نا محمد بن مثنى وأبو معن الرقاشي وإسحق بن منصور

قالوا نا الضحاك بن مخلد نا حيوة بن شريح قال حدثني يزيد بن أبي حبيب
عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا
فيه عن عمرو قال وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا
له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه وروى
الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج
على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر
فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران
إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما وروى أسامة بن شريك
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم
الطير وفي حديث صفته عليه السلام إذا تكلم أطرق جلساؤه
كأنما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش
عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه
له ما رأى وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه
ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها
وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها وإذا
أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدّون

إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إني جئت كسرى
في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكا في
قوم قط مثل محمد في أصحابه وفي رواية إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه
ما يعظم محمدا أصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا وعن أنس لقد
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه
فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل ٥ ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان
في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في القضية
أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي
جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فأعرض عنه إذ
طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه ٥ وفي
حديث قيلة رضي الله عنها فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالسا القرفصاء أرعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي
حديث المغيرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرعون بابه بالأظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت أريد
أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأؤخره سنين من هيبته
فصل واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره

وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته قال أبو ابرهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به قال القاضي أبو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا نا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث نا أبو الحسن علي بن فهر نا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج نا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب قال نا يعقوب بن إسحق بن أبي إسرائيل نا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله الآية وذم قوما فقال إن الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة

وسنته — قال المؤلف رحمه الله — السلف

وأدعوا أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه فلا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلث خصال إما مصليا وإما صامتا وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القسم

وينحني — صامتا — يعني القسم بن أبي بكر رضه

صفوان بن سليم وكان من المتعبدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكا فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وحرمته ميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ نا أبو الفضل بن خيرون نا أبو بكر البرقاني وغيره قالوا نا أبو الحسن الدارقطني نا علي بن مبشر نا أحمد بن سنان

القطان

القطان نا يزيد بن هرون نا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما هو قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه وقال ابرهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس على أبي حازم وهو يحدث فجازه وقال إني لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن آخذ حديث رسول الله وأنا قائم وقال مالك جاء رجل إلى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت أنك لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خشع وقال أبو مصعب كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وضوء إجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ

يتحدر

وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال إنه حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان إذا أتى الناس مالكا
خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث
أو المسائل فإن قالوا المسائل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله
واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه
رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر
بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره
ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك فقال أحب
أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا
على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو
قائم أو وهو مستعجل وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون أن يحدثوا
على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث
وهو على غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث إلا على طهارة ولا يقرأ
حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء قال عبد الله بن
المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة

مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت
منك اليوم عجبا قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك إلى العقيق
فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني أجل من أن تسأل
عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير
بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له إنه
قاض فقال القاضي أحق من أدب وذكر أن هشام بن الغازي سأل
مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم أشفق له فحدثه
عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا
وقال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث
إلا وهما طاهران وكان قتادة يستحب أن لا يقرأ أحاديث النبي
صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء ولا يحدث إلا على طهارة وكان
الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وأمهات
المؤمنين أزواجه كما حض عليه السلام وسلكه السلف
الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم

الرجس أهل البيت الآية وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم أنا الشيخ أبو
محمد بن أحمد العدل من كتابه وكتبت من أصله نا أبو الحسن
المقرئ الفرغاني حدثتني أم القسم بنت الشيخ أبي بكر الخفاف قالت
حدثني أبي نا حاتم هو ابن عقيل نا يحيى هو ابن إسمعيل نا يحيى هو الحماني نا
وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد
بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله
أهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من أهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل
عقيل وآل العباس وقال عليه السلام إني تارك فيكم ما إن أخذتم
به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني
فيهما وقال عليه السلام معرفة آل محمد براءة من النار وحب
آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه
وسلم فإذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه
وعن عمر بن أبي سلمة لما نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت الآية وذلك في بيت أم سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا
فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن أبي وقاص لما نزلت

آية

آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة
وقال اللهم هؤلاء أهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت
مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه
لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق وقال للعباس والذي
نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى
عمي فقد آذاني وإنما عم الرجل صنو أبيه وقال للعباس
اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي
وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم
فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وكان
يأخذ أسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم إني أحبهما فأحبهما
وقال أبو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في أهل بيته وقال أيضا
والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب
إلي أن أصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم أحب الله
من أحب حسنا وحسينا وقال من أحبني وأحب هذين وأشار
إلى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيمة
وقال صلى الله عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله وقال قدموا
قريشا ولا تقدموها وقال عليه السلام لأم سلمة لا تؤذيني في عائشة
صلى الله عليه وسلم

وعن عقبة بن الحرث رأيت أبا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على
عنقه وهو يقول بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وروي عن عبد الله بن حسن
بن حسن قال أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي إذا كانت
لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب إلي فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي
وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت له بغلته
ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن
عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ورأى ابن عمر
محمد بن أسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن أسامة
فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الأرض وقال لو رآه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأحبه وقال الأوزاعي دخلت بنت أسامة بن زيد
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها
مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل يدها بين يديه في ثيابه
ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها
ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف ولأسامة بن
زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لأبيه لم فضلته فوالله ما سبقني
إلى مشهد فقال له لأن زيدا كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أبيك وأسامة أحب إليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حبي وبلغ معوية أن كابس بن ربيعة كان يشبه برسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل
بين عينيه وأقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي أن مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال
وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال أشهدكم أني جعلت ضاربي
في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم
فأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي وقيل إن المنصور أقاده
من جعفر فقال له أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي
إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال أبو بكر بن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت
بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن
أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أقدمه عليهما وقيل لابن
عباس ماتت فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل
له أتسجد هذه الساعة فقال أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا رأيتم آية فاسجدوا وأي آية أعظم من ذهاب أزواج رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن

مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يزورها ووردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت على أبي بكر
وعمر فصنعا بها مثل ذلك

فصل ومن توقيره وبره عليه السلام

توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم
والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم
والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة
والمبتدعين القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل
ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم
أصوب المخارج إذ هم أهل ذلك ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليه
أمر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما
وراء ذلك كما قال عليه السلام إذا ذكر أصحابي فأمسكوا قال الله
تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم
إلى آخر السورة وقال والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
الآية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة
وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي أبو
علي نا أبو الحسين وأبو الفضل قالا نا أبو يعلى نا أبو علي السنجي نا محمد بن محبوب
نا الترمذي نا الحسن بن الصباح نا سفين بن عيينة عن زائدة عن عبد

الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال أصحابي كالنجوم بأيهم
اقتديتم اهتديتم وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به وقال الله الله
في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم
فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى
الله يوشك أن يأخذه وقال لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد
ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وقال من سب أصحابي فعليه لعنة
الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وقال في حديث جابر إن الله اختار
أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم
أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي
كلهم خير وقال من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني
وقال مالك بن أنس وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في
فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاؤوا من بعدهم الآية وقال
من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار
وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق

وحبّ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال أيوب السختياني من أحبّ أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحبّ عمر فقد أوضح السبيل ومن أحبّ عثمن فقد استضاء بنور الله ومن أحبّ عليًّا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص أحدًا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبّهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا وفي حديث خالد بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس إني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس إني راض عن عمر وعن علي وعن عثمن وعن طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس إن الله غفر لأهل بدر والحديبية أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني لا يطالبنّكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب في يوم القيمة غدًا وقال رجل للمعافى بن عمران أين عمر بن عبد العزيز من معوية فغضب وقال لا يقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد معوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله عز وجل وأتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصلّ عليه وقال كان يبغض عثمن فأبغضه الله وقال عليه السلام في الأنصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في أصحابي وأصهاري فإنه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا

والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلّى الله منه ومن تخلّى الله منه يوشك أن يأخذه وعنه عليه السلام من حفظني في أصحابي كنت له حافظًا يوم القيمة وقال من حفظني في أصحابي ورد عليّ الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد عليّ الحوض ولم يرني إلا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدّب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم كالمودّع لهم وبذلك أمر الله وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحبّهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إلا وله شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل أن يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقّر أصحابه ولم يعزّ أوامره

فصل ومن إعظامه وإكباره إعظام

جميع أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلام أو عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لأبي محذورة قصّة في مقدّم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض فقيل له ألا تحلقها فقال لم أكن بالذي أحلقها وقد مسّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ورئي ابن عمر واضعًا يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها

على وجهه وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشدّ عليها شدّة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمّنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابّة وكان يقول أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابّة وروي عنه أنه وهب للشافعي كراعًا كثيرًا كان عنده فقال له الشافعي أمسك منها دابّة فأجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده وقد أفتى مالك فيمن قال تربة المدينة رديّة بضرب ثلثين درّة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيّبة وفي الصحيح أنه قال عليه السلام في المدينة من أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملئكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا وحكي أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد

عثمن رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبًا فليتبوّأ مقعده من النار وحدّثت أن أبا الفضل الجوهري لمّا ورد المدينة زائرًا وقرب من بيوتها ترجّل ومشى باكيًا منشدًا للمتنبي

ولمّا رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادًا لعرفان الرسوم ولا لبّا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلمّ به ركبا

وحكي عن بعض المريدين أنه لمّا أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول متمثّلًا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطّع دونه الأوهام
وإذا المطيّ بنا بلغن محمّدًا ... فظهورهنّ على الرحال حرام
قرّبننا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ أنه حجّ ماشيًا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق لا يأتي إلى بيت مولاه راكبًا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردّد فيها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملئكة والروح وضجّت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنّة رسوله ما انتشر

مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها شعر يا دار خير المرسلين ومن به هدي الأنام وخص بالآيات ٥

عندي لأجلك لوعة وصبابة • وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري • من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها • من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها • أبدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من جميل تحيتي • لقطين تلك الدار والحجرات
أذكى من المسك المفتق نفحة • تغشاه بالآصال والبكرات

وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات ٥

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى إن الله وملئكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه إن الله وملئكته يباركون على النبي وقيل إن الله يترحم على النبي وملئكته يدعون له قال المبرد وأصل الصلوة

الترحم وهي من الله رحمة ومن الملئكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملئكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملئكة وصلاة الملئكة الدعاء ٥ قال القاضي أبو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل على أنهما بمعنيين وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه أحدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني أي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى الثالث أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل

اعلم أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدود بوقت لأمر الله تعالى بالصلوة عليه

وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه • وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله قال القاضي أبو الحسن بن القصار المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان وفرض عليه أن يأتي به مرة مع القدرة على ذلك • وقال القاضي أبو بكر بن بكير افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها • وقال القاضي أبو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة ٥ قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الإيمان لا تتعين في الصلوة وأن من صلى عليه مرة واحدة في عمره سقط الفرض عنه الذي أمر الله به ورسوله وقال أصحاب الشافعي الفرض منها الذي أمر الله به ورسوله عليه السلم هو في الصلوة وقالوا وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة وأما في الصلوة فحكى الإمامان أبو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة

على أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته فاسدة وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزئه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال أبو بكر بن المنذر يستحب أن لا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل أهل العلم وحكي عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة وأن تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فأوجب على تاركها في الصلوة الإعادة وأوجب إسحق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى أبو محمد عن أبي زيد عن محمد بن المواز أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة ٥ قال أبو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره ٥ وحكى ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي وحكى أبو يعلى المالكي عن المذهب فيه ثلاثة أقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسألة

قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي
ولا أعلم له فيها قدوة والدليل على أنها ليست من فروض الصلوة عمل السلف
الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه في هذه المسئلة جدا
وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله
عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل
من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس
وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله
بن الزبير لم يذكروا فيه صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال
ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما
يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد وقال ابن عمر
كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب
وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل
علي قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف
أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث أبي جعفر
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل
فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب أنه
من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم أصل فيها

على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم

فصل

في المواطن التي تستحب فيها الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
ويرغب من ذلك في تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد
وقبل الدعاء حدثنا القاضي أبو علي رحمه الله بقرائتي عليه قال
الامام أبو القسم البلخي قال نا الفارسي عن أبي القسم الخزاعي عن أبي
سعيد الهيثم بن كليب عن أبي عيسى الحافظ قال نا محمد بن غيلان نا
عبد الله بن يزيد المقرئ نا حيوة بن شريح حدثني أبو هانئ الخولاني أن عمرو
بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى
الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره
إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتحميد الله
وهو أصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلوة معلق بين السماء
والأرض ولا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وعن عائشة
رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال وعلى آل محمد
وروي أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم

وعن ابن مسعود إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء
عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل فإنه
أجدر أن ينجح وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع
متاعه فإن احتاج إلى شراب شربه أو الوضوء توضأ وإلا أهراقه
ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره وقال ابن عطاء
للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه
قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق مواقيته فاز وإن
وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة
والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب وأجنحته الصدق
ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين لا يرد وفي حديث آخر كل
دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلوة علي صعد الدعاء وفي دعاء
ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم
تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي على محمد عبدك
ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين آمين

ومن مواطن الصلوة عليه عند ذ

قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبا لأنه عقب غيره من الأنبياء وقيل
معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله لي خمسة أسماء
قيل إنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم
السالفة والله أعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة أسماء وذكر
منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه إنه يا طاهر
يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد
وذكر غيره لي عشرة أسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الأول
قال وأنا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وأنا المقفي
قفيت النبيين وأنا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته
ولم أروه وأرى أن صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي
وهو أشبه بالتفسير وقد وقع أيضا في كتب الأنبياء قال داود
عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد
يكون بمعناه وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القرآن
سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي
حديث أبي موسى الأشعري أنه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه
أسماء فيقول أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة

ويروى المرحمة والمرحمة وكل صحيح إن شاء الله تعالى ومعنى المقفي معنى
العاقب وأما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وكما وصفه بأنه يزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم وبالمؤمنين رءوف رحيم
وقال في صفة أمته إنها أمة مرحومة وقد قال تعالى فيهم وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة أي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام
ربه تعالى رحمة لأمته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا
لهم وجعل أمته أمة مرحومة ووصفها بالرحمة وأمرها عليه السلام
بالتراحم وأثنى عليه فقال إن الله يحب من عباده الرحماء وقال
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
وأما رواية نبي الملحمة فإشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله
عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث أبي موسى
وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه
عنه عليه السلام أتاني ملك فقال لي أنت قثم أي مجمع
والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في أهل بيته عليه السلام معلوم
وقد جاءت من ألقابه عليه السلام وسماته في القرآن عدة كثيرة
سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير

والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرءوف الرحيم
والأمين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى
والصراط المستقيم وطه ويس والنجم الثاقب والكريم والنبي الأمي
وداعي الله في أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب
الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة
جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبي القاسم والحبيب
ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر
والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد
المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل
الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود
وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج
والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب
وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب
الهراوة والنعلين ومن أسمائه عليه السلام في الكتب المتوكل
والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط
في الإنجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل
ومن أسمائه في الكتب السالفة ماذماذ ومعناه طيب طيب

وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار قال ثعلب فالخاتم الذي
ختم الأنبياء والحاتم أحسن الأنبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية
مشفح والمنحمنا واسمه أيضا في التوراة أحيد روي ذلك عن ابن
سيرين ومعناه صاحب القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرا
في الإنجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك وقد
يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهي
الآن عند الخلفاء وأما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا
وأراها والله أعلم العصا المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه
بعصاي لأهل اليمن وأما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ
إلا للعرب والعمائم تيجان العرب وأوصافه وألقابه وسماته في الكتب
كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله تعالى

فصل في تشريف الله تعالى له

بما سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى

قال القاضي أبو الفضل وفقه الله
ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب الأول لانخراطه في سلك مضمونها
وامتزاجه بعذب معينها لكن الله لم يشرح الصدر للهداية إلى
استنباطه ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه إلا عند

الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع به شمله فاعلم
أن الله تعالى خص كثيرا من الأنبياء بكرامة خلعها عليهم من أسمائه
كتسميته إسحق وإسمعيل بعليم وحليم وإبرهيم بحليم ونوحا
بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ
عليم وأيوب بصابر وإسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب
العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم
بأن حلاه منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة
اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر وإحضار الذكر إذ لم نجد من
جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لنا أليف فصلين وحررنا
منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما ألهم إلى ما علم
منها وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه
فمن أسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده
ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات وسمى
النبي صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا
وقع اسمه في زبور داود وأحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل
من حمد وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن أسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه
في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن
أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق
أمره وكذلك المبين أي البين أمره وإلاهيته بان وأبان بمعنى ويكون
بمعنى المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال
وقل إني أنا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل
والمتحقق صدقه وأمره وهو بالمعنى الأول والمبين البين أمره
ورسالته والمبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل إليهم
ومن أسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور أي خالقه أو منور
السماوات والأرض بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية
وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل
محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح
أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به
ومن أسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد
على عباده يوم القيامة وسماه شهيدا وشاهدا فقال إنا أرسلناك

شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الأول
ومن أسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل
وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في أسمائه تعالى الأكرم
وسماه الله تعالى كريما بقوله إنه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل
جبريل وقال عليه السلام أنا أكرم ولد آدم ومعاني الاسم
صحيحة في حقه عليه السلام ومن أسمائه تعالى العظيم ومعناه
الجليل الشأن الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه
وسلم وإنك لعلى خلق عظيم ووقع في أول سفر من التوراة عن
إسمعيل وسيلد عظيما لأمة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن
أسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي
العظيم الشأن وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم
في كتاب داود بجبار فقال تقلد أيها الجبار سيفك فإن
ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله
عليه وسلم إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم أو لقهره أعداءه أو
لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه في القرآن جبرية التكبر
التي لا تليق به فقال وما أنت عليهم بجبار ومن أسمائه تعالى الخبير
ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر

وقال الله تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء
المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي
صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي والمسؤول الله فالنبي
خبير بالوجهين المذكورين قيل لأنه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله
من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم
ومن أسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده
أو فاتح أبواب الرزق والرحمة والمنغلق من أمورهم عليهم أو يفتح
قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون أيضا بمعنى الناصر كقوله
إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر
وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الإسراء الطويل من رواية الربيع بن
أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة وفيه من قول الله تعالى
وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم
في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لأبواب الرحمة
على أمته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والإيمان بالله أو الناصر للحق
أو المبتدئ بهداية الأمة أو المبدأ المقدم في الأنبياء والخاتم

المبتداء

كما قال عليه السلام كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث
ومن أسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل
القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا
عليه السلام فقال إنه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله
عليه وسلم نفسه بذلك فقال أفلا أكون عبدا شكورا أي معترفا
بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من
ذلك لقوله لئن شكرتم لأزيدنكم ومن أسمائه تعالى العليم والعلام
وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم
وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون ومن أسمائه تعالى الأول والآخر ومعناهما السابق
للأشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه ليس له أول ولا
آخر وقال عليه السلام كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في
البعث وفسر بهذا قوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد أشار إلى نحو منه عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ومنه نحن الآخرون السابقون وقوله أنا
أول من تنشق الأرض عنه وأول من يدخل الجنة وأول شافع وأول

نشفع وهو خاتم النبيين وأخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن أسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث أيضا اسمه عليه السلام بالصادق والمصدوق ومن أسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى إنما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام أنا ولي كل مؤمن وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن أسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه في القرآن والتوراة وأمره بالعفو وقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن قوله تعالى خذ العفو قال أن تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والإنجيل في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن أسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن أراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وأصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه إنه يا طاهر يا هادي يعني

النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا إلى الله بإذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الأول قال تعالى إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومن أسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الأمين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل إن قولهم في الدعاء آمين إنه اسم من أسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم أمين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى أمينا فقال مطاع ثم أمين وكان عليه السلام يعرف بالأمين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس مهيمنا في شعره في قوله

ثم اغتدى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق

قيل المراد يا أيها المهيمن قاله القتيبي والإمام أبو القسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين أي يصدق وقال أنا أمنة لأصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن أسمائه تعالى القدوس

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وعلى جميع النبيين وسلم

ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لأنه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الأنبياء في أسمائه عليه الصلاة والسلام المقدس أي المطهر من الذنوب كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والذي يتطهر به من الذنوب ومن يتبعه يتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات إلى النور أو يكون مقدسا بمعنى مطهر من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنية ومن أسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب أو الذي لا نظير له أو المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله أي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال تعالى إن الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا أي مبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم أيضا أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم وكرم

فصل

قال القاضي وفقه الله وها أنا أذكر نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم بها هذا القسم وأزيح الإشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم

سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو أن يعتقد أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وإنما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهو مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الإمام أبو القسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد

وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف
يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا
بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج
عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم
او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي
الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان
الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك
حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة
التوحيد ان تعلم ان الله تعالى في الاشيا بلا علاج وصنعه لها بلا
مزاج وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك
فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخير تفسير
لقوله ليس كمثله شي والثاني تفسير لقوله لا يسال عما يفعل
وهم يسالون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشي اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات
في التنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه
بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

قال القاضي ابو الفضل حسب المتامل ان
يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته
فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل
المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول
من ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته
المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعما
لهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب
امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عند
ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع
او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة
واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره
وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد
حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد
كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي
وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جيته لانظر اليه فلما

استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب
عن الترمذي نا محمد بن بشار نا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر
وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن
زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته
قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم وغيره
ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان
الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هولا فلقد
بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد
كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه
وسلم بالمدينة فقال هل معكم شي تبيعونه قلنا هذا البعير
قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار
الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة

فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر
لا يخيس بكم فاصبحنا فجا رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا
حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندي
والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول
اخذ به ولا ينهى عن شي الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر
ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي
وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار
هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره
يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة
لو لم تكن فيه ايات مبينة • لكان منظره ينبيك بالخبر
وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في
معجزة القران وما فيه من برهان ودلالة

فصل

اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده
والعلم بذاته واسمايه وصفاته وجميع تكليفاته ابتدا دون
واسطة لو شا كما حكي عن سنته في بعض الانبيا وذكره بعض اهل

التفسير في قوله وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا وجايز أن يوصل
إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة إما
من غير البشر كالملئكة مع الأنبيا أو من جنسهم كالأنبيا مع
الأمم ولا مانع لهذا من دليل العقل وإذا جاز هذا ولم يستحيل
وجات الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم
في جميع ما أتوا به لأن المعجزة مع التحدي من النبي قايم مقام
قول الله تعالى صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه
فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فإن أردت تتبعه
وجدته مستوفى في مصنفات أئمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز
مأخوذ من النبأ وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى
أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى
مفعول أو يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما أطلعه الله عليه
فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمز من النبوة وهو ما ارتفع من
الأرض معناه أن له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة
فالوصفان في حقه مؤتلفان وأما الرسول فهو المرسل ولم يأت
فعول بمعنى مفعل في اللغة إلا نادرا وإرساله أمر الله له بالإبلاغ إلى
من أرسله إليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس أرسالا إذا

تبع بعضهم بعضا فكأنه ألزم تكرير التبليغ أو ألزمت الأمة اتباعه
واختلف العلما هل النبي والرسول بمعنى أو بمعنيين فقيل هما سواء
وأصله من الإنبا وهو الإعلام واستدلوا بقوله تعالى وما أرسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي فقد أثبت لهما معا الإرسال قال ولا يكون
النبي إلا رسولا ولا الرسول إلا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه
إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والإعلام بخواص
النبوة أو الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة
الرسالة للرسول وهو الأمر بالإنذار والإعلام كما قلنا وحجتهم
من الآية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما
حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما أرسلنا من رسول
إلى أمة أو نبي ليس بمرسل إلى أحد وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسول
من جاء بشرع مبتدإ ومن لم يأت به نبي غير رسول وإن أمر بالإبلاغ
والإنذار والصحيح والذي عليه الجما الغفير أن كل رسول نبي
وليس كل نبي رسولا وأول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله
عليه وسلم وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه أن الأنبيا مائة ألف
وأربعة وعشرون ألف نبي وذكر أن الرسل منهم ثلثمائة
وثلاثة عشر أولهم آدم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا

عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل
لهم وتهويل ليس عليه تعويل وأما الوحي فأصله الإسراع فلما كان
النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت أنواع الإلهامات
وحيا تشبيها بالوحي إلى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة
يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتهما ومنه قوله تعالى
فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا أي أومأ ورمز وقيل أشار
ومنه قولهم الوحا الوحا أي السرعة السرعة وقيل أصل الوحي
السر والإخفا ومنه سمي الإلهام وحيا ومنه قوله وإن الشياطين
ليوحون إلى أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى
وأوحينا إلى أم موسى أي ألقي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله
تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أي ما يلقيه في قلبه
دون واسطة

فصل

اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت
به الأنبيا معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها وهي على ضربين
ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل
على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان
بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم
فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحيا الموتى وقلب العصى حية وإخراج

ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الما من بين الأصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن
أن يفعله أحد إلا الله تعالى فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى
وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيز له واعلم أن المعجزات التي
ظهرت على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دلائل نبوته وبراهين صدقه
من هذين النوعين معا وهو أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية
وأظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط
فإن واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين
ولا أكثر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه
فعجز عنها قال أهل العلم وأقصر السور إنا أعطيناك الكوثر
فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات
على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله
عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل إلينا متواترا
كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجي النبي به وظهوره من قبله واستدلاله
بحجته وإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد في الدنيا
وإنما جا اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه
معجز من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم ضرورة
ونظرا كما سنشرحه قال بعض أئمتنا ويجري هذا المجرى على

الجملة أنه قد جرى على يديه عليه السلام آيات وخوارق عادات
إن لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان
معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت على يديه
عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا
كونها من قبل الله وأن ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل
هذا أيضا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها
كما نعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم أحنف لاتفاق
الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا
وحلم هذا وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته
والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على
نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند
المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين
الأصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان
ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع
إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قدمنا
قال القاضي أبو الفضل وأنا أقول صدعا بالحق إن كثيرا
من هذه الآيات المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع

أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا
يعدل عن ظاهر إلا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من
طرق كثيرة ولا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ولا
يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه **وكذلك قصة نبع الماء
وتكثير الطعام** رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء
الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن
الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة وإخبارهم أن
ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي
غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من محافل
المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة
للراوي فيما حكاه ولا إنكار لما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم المنزهون عن السكوت
على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم
ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه
كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير
وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم

فهذا النوع كله يلحق بالقطع من معجزاته لما بيناه وأيضا فإن أمثال
الأخبار التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الزمان
وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول
ذكرها كما نشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف
الطارئة وأعلام نبينا هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع
مرور الزمان إلا ظهورا ومع تداول القرون وكثرة طعن العدو
وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء
نورها إلا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها إلا حسرة وغليلا وكذلك
إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلوم من
آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من
أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي
أوجب قول القائل إن هذه القصص المشهورة من باب خبر
الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من
المعارف وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير
لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه
ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر
فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة

عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا
عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر
النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام
وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه وأن الشافعي يرى تجديد
النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما
القصاص في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط
الولي في النكاح وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم
ممن لا يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم
فضلا عن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام
فيها بيانا إن شاء الله تعالى

فصل في إعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز
منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط
أنواعها في أربعة وجوه **أولها** حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته
ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا
أرباب هذا الشأن وفرسان قد خصوا من البلاغة والحكم بما
لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم
يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم

ذلك طبعًا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب
ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديهًا في المقامات وشديد
الخطب ويتجرون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون
ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك
بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون
الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن
ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص
كاملاً ويتركون النبيه خاملاً منهم البدوي ذو اللفظ الجزل
والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي
ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات
الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة
الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة
الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج
لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد
حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من
أبوابها وعلوا صرحًا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين
وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا

في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت
آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته
على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه
وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه
وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده
مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً وأشهر في
الخطابة رجالاً وأكثر في السجع والشعر ارتجالاً وأوسع في الغريب واللغة
مقالاً بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون
صارخًا بهم في كل حين ومقرعًا لهم بضعًا وعشرين عامًا على
رؤوس الملأ أجمعين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين وإن كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن
تفعلوا وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله الآية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
وذلك أن المفترى أسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار
أقرب واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان

يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما
شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع ويوبخهم
غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم
ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم
في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون
أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والإغراء بالافتراء وقولهم إن هذا
إلا سحر يؤثر وسحر مستمر وإفك افتراه وأساطير الأولين والمباهتة
والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا
وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك
من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما
ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من
نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا
مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن
المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان
الآية قال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق

وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر أبو عبيد أن
أعرابيًا سمع رجلاً يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته
وسمع آخر رجلاً يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد
أن مخلوقًا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان يومًا نائمًا في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه
يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن
يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلاً من أسرى المسلمين
يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع فيها ما أنزل الله على
عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع
الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية وحكى الأصمعي أنه سمع
كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو يعد
هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه
الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين
فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على التحقيق
والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه
وسلم وأنه أتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديًا به
معلوم ضرورة وعجز العرب عن الإتيان به معلوم ضرورة للعالم

بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين
من أهلها عن معارضته واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته
وأنت إذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقوله ولو
ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقوله
ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
وقوله وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية وقوله فكلا
أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية وأشباهها من الآي
بل أكثر القرآن حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة
معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها
وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر
ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات
في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون
السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب
ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام
سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم إذا ترددت
قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل
واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها

ولا نفور

ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها

فصل الوجه الثاني من إعجازه

صورة نظمه العجيب والأسلوب
الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها
الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه
ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل
حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى
مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر
ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن
رق فجاءه أبو جهل منكرا عليه فقال والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار
مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر جمع
قريشا عند حضور الموسم فقال إن وفود العرب ترد فأجمعوا
فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن فقال
والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال
ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر
قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه
ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال
ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما تقول قال ما أنتم

بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل وإن أقرب القول إنه ساحر
وأنه سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه
والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس
فأنزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات
وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم أني لم
أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله
ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال
النضر بن الحرث نحوه وفي حديث إسلام أبي ذر ووصف أخاه
أنيسا فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني
عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم وأنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي
ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد
وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي
أنه شعر وإنه لصادق وإنهم لكاذبون والأخبار في هذا صحيحة
كثيرة والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها
أو الأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق
لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج

عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها وإلى هذا ذهب غير واحد
من أئمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في
مجموع البلاغة والأسلوب وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع
وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة
وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب
هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف أئمة أهل السنة
في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول إنه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة
ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون
في مقدور البشر وإنه من باب الخوارق الممتنعة عن أقدار الخلق
عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى وذهب الشيخ
أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر
ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا
وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقين فعجز
العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور
البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى
بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم
وهو أبهر آية وأقمع دلالة وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمعارضة

بنصرو واعلى الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا
من شموخ الانف واباءة الضيم بحيث لا يوثرون ذلك اختيارا
ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل
بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم
وهم من هم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام
وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره
واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا
اتوا بنقطة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد
وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان
نوعان من اعجازه

فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات

وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله وهم من بعد غلبهم
سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد
الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله
اذا جاء نصر الله الى اخرها فكان جميع هذا كما قال تبارك وتعالى فغلبت الروم فارس
في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات عليه السلام صلى الله عليه وسلم

وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله تعالى المومنين
في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى
اقصى المغارب كما قال عليه السلام صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض
فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها
وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد
يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما
القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمس مائة
عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه
ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى
سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
الاية وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله لن
يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما
فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم
في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
الاية وقوله ومن الذين هادوا سماعون للكذب الاية
وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله

وطعنا في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله تعالى واعتقده المومنون يوم
بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير
ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين
ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه
اياهم وكان المستهزءون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويوذونه فهلكوا
وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره
وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة

فصل الوجه الرابع ما انبا به من اخبار القرون السالفة والامم

البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة
الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك
فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه وياتي به على نصه
فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد
علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل
بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل
الكتاب كثيرا ما يسالونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه
من القران ما يتلو عليهم منه ذكر كقصص الانبياء مع قومهم وخبر
موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين

ولقمن وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما في التوراة
والانجيل والزبور وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها
ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق
امن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك
عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على
تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت
عليه مصاحفهم وكثرة سوالهم له عليه السلام وتعنيتهم اياه
عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سوالهم عن الروح
وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم
اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت
احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القران
فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه
بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده
اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في
ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة

دعي إلى إقامة حجته وكشف دعوته فقيل لهم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى قوله الظالمون فقرّع ووبّخ ودعى إلى إحضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين

فصل هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بيّنة لا نزاع فيها ولا مرية

ومن الوجوه البيّنة في إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت الآية قال أبو إسحاق الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غصّ بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزّعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما أوحي

إليه

إليه إذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال أبو محمد الأصيلي من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب إليه وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الإسلام فأنزل الله عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا إلى قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها

فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهيتهم له ولهذا قال عليه السلام إن هذا القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم

بالجزية

جلالته

صلى الله عليه وسلم

وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وقال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفره

فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون إلى قوله المصيطرون كاد قلبي أن يطير وفي رواية وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف

ظهره

تبارك وتعالى

يبكي

للإسلام

ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بم يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من أفصح أهل وقته

وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه فحكي أنه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة

فصل ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها ولم يبق إلا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين

وسبع

بليغا

فاعترته

طاهرة

سنة لأول نزوله إلى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والأعصار
كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان
الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع
عنيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في
مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من
ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك
إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه

فصل

وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي
الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه
لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب
له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في
الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد
وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات
وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها
لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا
وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق
على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس

حـ عتيد
حـ يزيد لم
حـ ذلك
أي الناصر من الحق والباطل

بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة هو
الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا
يهدي إلى الرشد **ومنها** جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب
عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا
القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب
من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق
الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة
الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة
مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض
بقادر على أن يخلق مثلهم وقل يحييها الذي أنشأها أول
مرة ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من علوم
السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن
الآداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل وقال عليه السلام إن الله أنزل هذا القرآن
آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما
كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا

حـ العقلية
حـ كثرة الرد
حـ لا يخلقه كثرة الرد

تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به
عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن
تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى في غيره أضله
الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور
المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع
عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ
فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن
ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الأولين
والآخرين **وفي الحديث قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم**
إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما
وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب
وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة
وقال تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي
هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه
مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله
التي ألفاظها على الضعف منه مرات **ومنها** جمعه فيه بين
الدليل والمدلول وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن رصفه

حـ والثاني
يتشان بالشين المعجمة المشددة أي لا يبلى ما خوذ من الشن وهي القربة
حـ العقل

وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي
له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز
المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمح
في الآذان وأحلى على الأفهام فالناس إليه أميل والأهواء إليه أسرع
ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال
الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد
منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن متيسر حفظه
للغلمان في أقرب مدة **ومنها** مشاكلة بعض أجزائه
بعضا وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص
من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف
معانيه وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي وخبر واستخبار
ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب
إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام
الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته
وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول ص وما جمع
فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون

حـ كلام
حـ والنفوس
حـ كتابها
حـ الجم
حـ الأعوام
حـ وإهلاك

من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد وتعجبهم مما أتى به والخبر
عن اجتماع ملإيهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم
وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم
وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء بمثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله
عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر
داود وقصص الأنبياء كل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام
ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة
وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة
ذكرها الأئمة لم نذكرها أكثرها داخل في باب بلاغته
فلا يجب أن يعد فنا منفردا في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون
البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه
وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا
فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا
تنقضي وبالله التوفيق ه

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أخبر تعالى
بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع

المفسرون وأهل السنة على وقوعه حدثنا الحسين بن محمد الحافظ من
كتابه ثنا القاضي سراج بن عبد الله ثنا الأصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري
ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن
إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ه وفي رواية مجاهد
ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الأعمش بمنى ه ورواه
أيضا عن ابن مسعود الأسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي
القمر ورواه عنه مسروق أنه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش
سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم إن محمدا إن كان سحر القمر
فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد
آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك ه
وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل
هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا أرأوا ذلك أم لا ه
فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار
هذا سحر مستمر ه ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء
أربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود

منهم أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال
علي من رواية أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر ونحن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس سأل أهل مكة النبي صلى الله
عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراء
بينهما رواه عن أنس قتادة ه وفي رواية معمر وغيره عن قتادة
عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق
القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن
محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ه ورواه
عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي
ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث
صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه
لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم إذ لم
ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق
ولو نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب
لما كانت علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع الأرض
فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم
بضد ما هو من مقابليهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم

وبينه سحاب أو جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون
بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من
الناس بالليل الهدو والسكون وإيجاف الأبواب وقطع التصرف ولا
يكاد يعرف من أمور السماء شيئا إلا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك
ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد وأكثرهم لا يعلم به حتى
يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم
طوالع عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد
منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من
طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه في
حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس
قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت
على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان
ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان
يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه
من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي

رواية عن ابن إسحق لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس ه

فصل في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم

أما الأحاديث في هذا فكثيرة جدا ه روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه منهم أنس وجابر وابن مسعود حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه ثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا أبو القسم حاتم بن محمد ثنا أبو عمر بن الفخار ثنا أبو عيسى ثنا يحيى ثنا مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم ه ورواه أيضا عن أنس قتادة وقال بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة ه وفي رواية

عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه أيضا حميد وثابت والحسن عن أنس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه أيضا وهم نحو من سبعين رجلا وأما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن جابر وفيه أنه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجب فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما

هو وقال ناد بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي أتي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره بإداوة ماء وقيل ما معنا ماء يا رسول الله ما غيرها فسكبها في ركوة ووضع إصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له

فصل ومما يشبه هذا من معجزاته

تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي

تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن إسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا ه وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع وحديثه أتم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء وأتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم وفي غير هاتين الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فأخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن وعن أبي قتادة وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملأوا كل إناء معهم فخيل إلي أنها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عن عمران بن حصين وذكر الطبري حديث أبي قتادة على

غير ما ذكره أهل الصحيح وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا
لأهل مؤتة عندما بلغه قتل الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات
للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء في غد وذكر
حديث الميضأة قال والقوم زهاء ثلاثمائة وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي
قتادة احفظ علي ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ه ومن ذلك
حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
عطش في بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان
امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء
الله أن يقول ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملؤوا
أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا إلا ملؤوه قال عمران بن حصين وتخيل
إلي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها
وقال اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله
وعن سلمة بن الأكوع قال نبي الله هل من وضوء فجاء رجل بإداوة فيها
نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة أربع عشرة
مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى
إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم

في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم
من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب أن أبا
طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت
وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه
الأرض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الآيات
بدعائه في الاستسقاء وما جانسه

فصل

ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي
رحمه الله ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن أعين ثنا معقل
عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفهما
حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله
لأكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور وإطعامه
صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير
جاء بها أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها ففتت وقال فيها ما شاء
الله أن يقول ه وحديث جابر في إطعامه صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فأقسم بالله

لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة
وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وحديث أبي أيوب
أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من
الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع
ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوا ثم قال
ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوه
وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل
من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب أتي
النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة
حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد
الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة
وذكر الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد
بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له
حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا منها أجمعون
وفضل في القصعتين فحملته على البعير ه ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ومثله لسلمة بن الأكوع

وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة أصابت الناس مع
النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء
الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع
من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز
ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه
وعن أبي هريرة أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو له أهل
الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما
شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون
الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى
شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه
لم يشرب ه وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى
بزينب أمره أن يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ
البيت والحجرة وقدم إليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا
فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون
وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم أحدا أو اثنين وسبعين

وأمر عمر بن الخطاب أن يزود أربعمائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما هي إلا آصع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين أبيه بعد موته وكان قد بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمر بجدها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال أبو هريرة أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمن فانتهب مني فذهب وفي

فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه أيضا حديث أبي هريرة حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد أهدي إليه وأمره أن يدعو أهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها فدعوتهم وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذ الآخر حتى روي جميعهم قال فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى أنه أجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا ذكره الدولابي ومن حديث الأجري في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالا بقصعة

من أربعة أمداد أو خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم أدخل الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وأمر بحملها إلى أزواجه وقال كلن وأطعمن من غشيكن وفي حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم أدع أحدا لقيته إلا دعوته وذكر أنهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله أن يقول فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر

فصل

في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها

دعوته

دعوته حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن أبي القاسم البغوي ثنا أحمد بن عمران الأخنسي ثنا أبو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي فقال يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها وعن بريدة سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الأعرابي مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الأعرابي ائذن لي أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها

قال فأذن لي أقبل يديك ورجليك فأذن له ۝ وفي الصحيح في حديث
جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته
فلم ير شيئا يستتر به فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي
علي بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده
وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك حتى إذا كان بالمنصف بينهما
قال التئما علي بإذن الله فالتأمتا ۝ وفي رواية أخرى فقال يا جابر
قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك
حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما
فخرجت أحضر وجلست أحدث نفسي فالتفت فإذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل
واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا ۝ وروى أسامة بن زيد
نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه
هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن
الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت
أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن إن رسول الله

صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق
لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن
حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي
نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن وقال
يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا
من هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا ۝ وفي رواية
أشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى
بن مرة وهو ابن سيابة أيضا وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر أن طلحة أو سمرة جاءت فأطافت به ثم رجعت
إلى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها استأذنت
أن تسلم علي ۝ وفي حديث عبد الله ابن مسعود آذنت النبي
صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد
عن ابن مسعود في هذا الحديث أن الجن قالوا من يشهد لك قال هذه
الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل
الحديث الأول أو نحوه قال القاضي أبو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة

وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلي
بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها
أو معناها ورواها عنهم من التابعين أضعافهم فصارت في انتشارها
من القوة حيث هي وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم
سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت
له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين إلى وقتنا وهي هناك
معروفة معظمة ۝ ومن ذلك حديث أنس أن جبريل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم وراه حزينا أتحب أن أريك آية قال نعم فنظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع
تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت
إلى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم أرني
آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله
عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن
إسحق أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية
في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت
وعن الحسن أنه عليه السلام شكا إلى ربه من قومه وأنهم يخوفونه
وسأله آية يعلم بها أن لا مخافة عليه فأوحى الله إليه أن ائت وادي

كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الأرض خطا حتى
انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع
فقال يا رب علمت أن لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه
أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس أنه
صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي أرأيت إن دعوت هذا العذق
من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى
أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح

فصل في قصة حنين الجذع

ويعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور
منتشر والخبر به متواتر خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة
بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك
وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد
الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة كلهم يحدث
بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث أنس صحيح وقال
جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله
عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا
لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد

حـ لخواره

لخواره ٥ وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به ٥ وفي رواية المطلب
حتى تصدّع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه
فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد
من الذكر ٥ وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل
هكذا إلى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا
في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن أنس ٥ وفي حديث أبي
فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه فلما هدم المسجد
أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رفاتا
وذكر الإسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى
نفسه فجاء يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه ٥ وفي
حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت
أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل
خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في
الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى النبي صلى الله عليه وسلم
يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله
وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه

حـ بني الله

قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه ٥ رواه عن
جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة
وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب وأبو صالح ورواه
عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحق بن أبي طلحة ٥ ورواه
عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد
وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل
بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن
بريدة عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه قال القاضي أبو
الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحة ورواه
من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره
وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت
على الصواب **فصل ومثل هذا في سائر الجمادات** حدثنا
القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ثنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن المرابط ثنا المهلب أبو القسم ثنا أبو الحسن القابسي ثنا
المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا أبو أحمد الزبيري

حـ المؤلف رحمه الله

حـ ويدون

ثنا إسرائيل عن منصور عن إبرهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا
نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود
كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع
تسبيحه ٥ وقال أنس أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى
فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم
صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن وروى مثله
أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمن ٥ وقال علي كنا بمكة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها
فما استقبله شجرة ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله ٥
وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام إني لأعرف حجرا بمكة
كان يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود ٥ وعن عايشة لما استقبلني
جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك
يا رسول الله ٥ وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم
يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له ٥ وفي حديث العباس إذ اشتمل عليه النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار
كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت
آمين آمين ٥ وعن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم

حـ استقبلته

صلى الله عليه وسلم

الصلوة

قال

حـ النبي

فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم
فسبح ٥ وعن أنس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمن
أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان
ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير
وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد والخبر في حراء أيضا عن
عثمن قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد عبد الرحمن بن عوف
وسعدا قال ونسيت الاثنين ٥ وفي حديث سعيد بن زيد أيضا
مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي أنه حين طلبته قريش
قال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري
فيعذبني الله فقال له حراء إلي يا رسول الله وروى ابن عمر
أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره
ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار أنا الكبير المتعال
فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه ٥ وعن ابن عباس كان حول
البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة
فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل
يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلا وقع لوجهه

حـ أنا المتعال

حتى ما بقي منها صنم ٥ ومثله في حديث ابن مسعود وقال تجعل يطعنها ويقول جا الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ٥ ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتدا امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين هذا بعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر له ساجدا ولا يسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه

فصل في الايات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ نا ابي نا القاضي يونس نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا نا ابو العلا احمد بن عمران نا محمد بن فضيل نا يونس بن عمرو نا مجاهد عن عايشة قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجي ولم يذهب واذا خرج رسول الله جا وذهب وروي عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء

اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزا لا امنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك

ومن ذلك قصة كلام الذيب المشهورة

عن ابي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض الذيب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذيب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بانبا ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول ٥ وروي حديث الذيب عن ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذيب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده

قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذيب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذيب ٥ وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه مثل حديث ابي سعيد ٥ وقد روي ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفين بن حرب وصفوان بن امية مع ذيب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب فعجبا من ذلك فقال الذيب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزا لين ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه ٥ وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضماد صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طاير سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضماد ولا تعجب من

نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايط انصاري وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث ٥ وعن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايطا فجا بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحايط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السما والارض شي لا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه ٥ وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال لهم إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية أنه شكا كثرة
العمل إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا
نعم. وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم
وتعريفها إليه بنفسها ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش
عنها وندائهم لها إنك لمحمد وإنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى
ماتت ذكره الإسفرايني. وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت
النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة. وروي عن
أنس وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت تجاه النبي فسترته وأمر حمامتين
فوقفتا بفم الغار. وفي حديث آخر وأن العنكبوت نسجت على
بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم
تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم
فانصرفوا. وعن عبد الله بن قرط قرب إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن
إليه بأيتهن يبدأ. وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم
في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما

وأرجع قال وتفعلين قالت نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه
الأعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها
فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله

ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد

لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ
باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك
وفي رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت به فخرج إلى جزيرة
فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل
يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ عليه السلام بأذن
شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما
وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد. وما روي عن إبراهيم
بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال له اسمي
يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وأنه كان
يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم
وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات
وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم

لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه. وفي العنز التي أتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء
ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال
لرافع املكها وما أراك تملكها فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن
قانع وغيره وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الذي جاء بها هو
الذي ذهب بها. وقال لفرسه عليه السلام وقد قام إلى الصلوة في
بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله
قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم والحديث في
هذا الباب كثير وقد جئنا بالمشهور من ذلك وما وقع منه في
كتب الأئمة.

فصل في إحياء الموتى وكلامهم وكلام

الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة. حدثنا أبو الوليد
هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو عبد الله محمد بن
عيسى التميمي وغير واحد سماعا وإذنا قالوا ثنا أبو علي الحافظ ثنا
أبو عمر الحافظ ثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا أحمد بن سعيد ثنا ابن
الأعرابي ثنا أبو داود ثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد
بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن يهودية أهدت إلى النبي صلى الله عليه
وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم

منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر
بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت إن كنت نبيا
لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك قال فأمر
بها فقتلت. وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت قتلك
فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك
روي عن أبي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه
أيضا جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه الذراع قال ولم
يعاقبها. وكذلك ذكر الخبر ابن إسحق وقال فيه فتجاوز عنها
وفي الحديث الآخر عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول
الله صلى الله عليه وسلم. وفي حديث أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي
مات فيه ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن أوان قطعت أبهري
وحكى ابن إسحق إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من
النبوة. وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات
في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر. وروى الحديث البزار عن أبي

ابن عباس ... دفعها إلى أولياء بشر بن البراء فقتلوها ولذلك اختلفوا في قتله للذي نحو قال الواقدي
... عنه أثبت عندنا وروي عنه أنه قتلها ...

سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره فبسطناه وقلنا كلوا
بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا أحدا ه قال القاضي
أبو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح وخرجه
الأئمة وهو حديث مشهور ه واختلف أيمة أهل النظر في هذا
الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة أو
الحجر والشجرة وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها
منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئاتها وهو مذهب الشيخ
أبي الحسن والقاضي أبي بكر رحمهما الله وآخرون إلى إيجاد الحيوة
بها أولا ثم الكلام بعده ه وحكي هذا عن شيخنا أبي الحسن وكل
محتمل والله أعلم إذ لم نجعل الحيوة شرطا لوجود الحروف والأصوات
إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحيوة بمجردها فأما إذا كانت
عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحيوة لها إذ لا يوجد كلام
النفس إلا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في
إحالة وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من حي مركب
على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات والتزم ذلك
في الحصى والجذع والذراع وقال إن الله خلق فيها حيوة وخرق
لها فما ولسانا وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان

نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد
من أهل السير والروايات شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع أنه
لا ضرورة إليه في النظر والله الموفق ه وروى وكيع رفعه عن
فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم
قط فقال من أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ه وروي عن معرض
بن معيقيب رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم
ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة
اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك
الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك
اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن أتى رجل
النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أنه طرح بنية له في وادي كذا
فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي بإذن الله
تعالى فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها إن أبويك قد
أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما فقالت لا حاجة لي فيهما وجدت
الله خيرا لي منهما وعن أنس أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز
عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم إن
كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل

شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم
وطعمنا وروي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري كنت في من دفن
ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر
يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم
فنظرنا فإذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير أن زيد بن
خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه بين
العشائين والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه
فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب
الأول ثم قال صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فصل في إبراء المرضى وذوي العاهات

حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال ثنا
أبو إسحق الحبال ثنا أبو محمد بن النحاس ثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن
هشام عن زياد البكائي عن محمد بن إسحق ثنا ابن شهاب وعاصم
بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة أحد بطولها قال وقالوا
قال سعد بن أبي وقاص إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني
السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله

عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت وأصيب يومئذ عين قتادة
يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكانت أحسن عينيه ه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة
ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة
وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب
علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال يا رسول
الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل
ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله
عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف
عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي
أن ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها
رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا
فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال
فويك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو
ابن ثمانين سنة ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ ۝ وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد ۝ وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدًا فأصبح بارئًا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرأت ۝ وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه ۝ واشتكى علي بن أبي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد ۝ وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن وهب ۝ ومن روايته أيضًا أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح **وأتته امرأة** من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلًا يفضل عقول الناس ۝ **وعن ابن عباس** جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له

(في الهامش: ثع أي قاء)

وتفل

وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر ۝ وسألته جارية طعامًا وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئًا فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها

فصل في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

وهذا باب واسع جدًا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده **حدثنا** أبو محمد العتابي بقراءتي عليه **نا** أبو القسم حاتم بن محمد **نا** أبو الحسن القابسي **نا** أبو زيد المروزي **نا** محمد بن يوسف **نا** محمد بن إسمعيل **نا** عبد الله بن أبي الأسود **نا** حرمي **نا** شعبة عن قتادة عن أنس قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال أنس فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة ۝ وفي رواية وما أعلم أحدًا أصاب من رخاء العيش

(في الهامش: من ح — رضي الله عنه)

ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطًا ولا ولد ولد ۝ ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب تحته ذهبًا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفًا وكن أربعًا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفًا ۝ وأوصى بخمسين ألفًا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يومًا ثلاثين عبدًا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها ۝ ودعا لمعوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ۝ ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر **قال ابن مسعود** ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا في الاستسقا فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا ۝ وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرًا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين

(في الهامش: عليه الصلوة والسلام — لأحد — بن الخطاب)

اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكان ابن خمس عشرة سنة ۝

ومائة وقيل أكثر من هذا ۝ ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ۝ ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئًا إلا ربح فيه ۝ ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ۝ ودعا بمثله لعروة بن أبي الجعد قال فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفًا وقال البخاري في حديثه لو اشترى التراب ربح فيه ۝ وروي مثل هذا لغرقدة أيضًا وندت له ناقة فدعا فجاءه بها إعصار ريح حتى ردها عليه ۝ ودعا لأم أبي هريرة فأسلمت ۝ ودعا لعلي أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ۝ ودعا لفاطمة ابنته ألا يجيعها الله قالت فما جعت بعد ۝ وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ۝ ودعا على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ۝ ودعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا ۝ ودعا على صبي قطع عليه صلوته أن يقطع الله أثره فأقعد ۝ وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع

(في الهامش: البحر — الكناسة سوق مشهور بالكوفة وفي صراح موضع بالكوفة — فما جاعت بعد — البلاد)

أكلك الأسد فأكلها

فقال لا استطعت فلم يرفعها إلى فيه ۝ وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه
كلبًا من كلابك فأكله الأسد ۝ وحديثه المشهور من رواية عبد
الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو
ساجد مع الفرث والدم وسماهم فقال لقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ۝ ودعا
على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله
عليه وسلم فرآه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج إلى أن مات ۝
ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري
فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب
الوادي وجحد رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه
وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم إن
كان كاذبًا فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية برجلها أي رافعة
وهذا الباب أكثر من أن يحاط به ۝

فصل في كراماته وبركاته

وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره
صلى الله عليه وسلم أخبرنا أحمد بن محمد ثنا أبو ذر الهروي إجازة
وحدثنا القاضي أبو علي سماعًا والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغيرهما قالوا ثنا أبو الوليد القاضي ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو إسحاق
وأبو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن

قال فلقد

قتادة عن أنس بن مالك أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرسًا لأبي طلحة كان يقطف أو به قطاف ۝ وقال غيره
بطأ فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرًا فكان بعد لا يجارى ونخس
جمل جابر وكان قد أعيى فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك
بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها
نشاطًا وباع من بطنها باثني عشر ألفًا وكانت شعرات من شعره في قلنسوة
خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالًا إلا رزق النصر ۝ وفي الصحيح
عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى ونستشفي بها ۝
وحدثنا القاضي أبو علي عن شيخه أبي القاسم بن المأمون قال
كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل
فيها الماء للمرضى فيستشفون بها ۝ وأخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد
عثمان ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته فيها الأكلة فقطعها
ومات قبل الحول ۝ وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد
وبزق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها ۝ ومر
على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه
طيب فطاب ۝ وأتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك وأعطى

أنها

الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشًا فسكتا ۝ وكان لأم
مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنًا فأمرها النبي
صلى الله عليه وسلم أن لا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنًا فيأتيها
بنوها يسألونها الأدم وليس عندها شيء فتعمد إليها فتجد فيها سمنًا
فكانت تقيم أدمها حتى عصرتها وكان يتفل في أفواه الصبيان المراضع
فيجزيهم ريقه إلى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان
حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم
وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها له بيده
إلا واحدة غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وردها فأخذت ۝ وفي كتاب البزار فأطعم
النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن
أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما
أعطاهم ۝ وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا
جعت وريها إذا عطشت وبردها إذا ظمئت ۝ وأعطى قتادة بن النعمان
وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونًا وقال انطلق به فإنه سيضيء لك

عشرًا ومن خلفك عشرًا

مالك — صلى الله عليه وسلم — رسول الله صلى الله عليه وسلم

فإذا دخلت بيتك فسترى سوادًا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق
فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ۝ ومنها
دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر
فعاد في يده سيفًا صارمًا طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل
عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان
هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب
سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفًا ۝ ومنه بركته في درور الشاء
الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد ۝ وأعنز معاوية بن
ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن
مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ۝ ومن ذلك
تزويده لأصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما
حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فإذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية
حماد بن سلمة ومسح على رأس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما
شاب وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد
ومدلوك ۝ وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه
لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره وسلت
الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت

فصار — ودفع صلى الله عليه وسلم — أصحابه

عزة لغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك
ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم
وما مرت يده عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر وروي مثل
هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على
وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان
ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على رأس حنظلة بن
حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد
ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب
الورم ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما كان يعرف
في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى
شعره وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرأوا وأتاه رجل
به أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ وعن طاوس
لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب
المس الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وأخذ
قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت
الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم وشكى إليه أبو هريرة النسيان
فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعده

فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب

وما يروى عنه في هذا كثير
وما يكون والأحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من
جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة
رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الإمام أبو بكر
محمد بن الوليد الفهري إجازة وقرأته على غيره قال أبو بكر ثنا
أبو علي التستري ثنا أبو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا أبو داود ثنا عثمان
بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه
ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد
علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل
وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدري
أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا
قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته وقال أبو ذر لقد تركنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا
ذكرنا منه علما وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه صلى الله

اعدائه
عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائهم وفتح مكة وبيت المقدس واليمن
والشام والعراق وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة
لا تخاف إلا الله وأن المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه
وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى
وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والأهواء وسلوك سبيل
من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة
وأنها ستكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع
بين يديه صحفة وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال
آخر الحديث وأنتم اليوم خير منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء
وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم
على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى
وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده
وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر وبذهاب الأمثل فالأمثل
من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج
وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وأنه زويت له الأرض فأري
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته ما زوي له منها وكذلك
كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق

إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ولم
تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال أهل الغرب
ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب
لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب إلى أنهم أهل
المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث
آخر من رواية أبي أمامة لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين
لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله وأين هم
قال ببيت المقدس وأخبر بملك بني أمية وولاية معاوية ووصاه
واتخاذ بني أمية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود
وملكهم أضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال أهل بيته وتقتيلهم
وتشريدهم وقتل علي وأن أشقاها الذي يخضب هذه من هذه أي لحيته من
رأسه وأنه قسيم النار يدخل أولياؤه الجنة وأعداؤه النار فكان فيمن
عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب إليه من الروافض
كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وأن الله عسى أن يلبسه
قميصا وأنهم يريدون خلعه وأنه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم
الله وهو السميع العليم وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة
الزبير لعلي ونباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه وأنه يقتل

نغسله فسألوها فقالت إنه خرج جنبا وأعجله الحال عن الغسل قال أبو سعيد ووجدنا رأسه يقطر ماء

حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند خروجها
إلى البصرة وأن عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وقال
لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان
وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم أبو
هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل
عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها
وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين
وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وأن
مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة أول أهله لحوقا به وأنذر بالردة وبأن
الخلافة بعده ثلاثون ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي
وقال إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون
ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروة وفسادا في الأمة وأخبر
بشأن أويس القرني وبأمراء يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون
في أمته ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة ۵ وفي حديث آخر ثلاثون دجالا
كذابا آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله
وقال يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم
ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال

خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا
يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا يأتي
زمان إلا والذي بعده شر منه ۵ وقال هلاك أمتي على يدي أغيلمة من
قريش قال أبو هريرة راويه لو شئت لسميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان
وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الأمة أولها وقلة
الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم يبق
لهم جماعة وأنهم سيلقون بعده أثرة وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم
والمخدج الذي فيهم وأن سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤس الناس
والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربتها وأن
قريشا والأحزاب لا يغزونه أبدا وأنه هو يغزوهم وأخبر بالموتان
الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وأنهم
يغزون في البحر كالملوك على الأسرة وأن الدين لو كان منوطا بالثريا
لناله رجال من أبناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت
منافق فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك ۵ وقال لقوم من جلسائه
ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد قال أبو هريرة فذهب القوم
يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة وأعلم بالذي غل خرزا
من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي وناقته

حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب إلى
أهل مكة وبقصة عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي
صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله
وأطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر والسر أسلم وأخبر بالمال
الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري
وغيرها فأسلم وأعلم بأنه سيقتل أبي بن خلف وفي عتبة بن أبي لهب
أنه يأكله كلب الله وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال ۵ وقال في
الحسن إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف
حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون وأخبر بقتل أهل مؤتة
يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وبموت النجاشي يوم مات
وهو بأرضه وأخبر فيروز إذ ورد عليه رسولا من كسرى ذلك اليوم
بموت كسرى فلما تحقق فيروز القصة أسلم وأخبر أبا ذر بتطريده كما كان
ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك إذا أخرجت منه قال أسكن
المسجد الحرام قال فإذا أخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته
وحده وأخبر أن أسرع أزواجه به لحوقا أطولهن يدا فكانت زينب
لطول يدها بالصدقة وأخبر بقتل الحسين بالطف وأخرج بيده تربة
وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة

تقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حراء إذ رجف اثبت فإنما عليك نبي وصديق
وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك
إذا لبست سواري كسرى فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي
سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل
وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها يعني بغداد وقال
سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة من فرعون
لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة ۵
وقال لعمر في سهيل بن عمرو وعسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان
كذلك قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه
وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم ۵ وقال لخالد
حين وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الأمور كلها
في حيوته وبعد موته كما قال عليه السلام إلى ما أخبر به جلساءه من
أسرارهم وبواطنهم وأطلع عليه من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم
فيه وفي المؤمنين حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله
لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء وإعلامه بصفة السحر
الذي سحره به لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة
ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة

وإعلامه قريشًا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم
وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال
ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء ونعته
إياه نعت من عرفه وإعلامهم بعيرهم التي مرّ عليها في طريقه وإنذارهم
بوصولها فكان كله كما قال إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم
تأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب
يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية
ومن أشراط الساعة وآيات حلولها وذكر النشر والحشر وأخبار
الأبرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل
أن يكون ديوانًا مفردًا يشتمل على أجزاء وحده وفيما أشرنا إليه نكت من
نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند الأئمة

فصل في عصمة الله تعالى له من

الناس وكفايته من آذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال
تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وقال أليس الله بكاف عبده قيل
بكاف محمدًا أعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال إنا كفيناك المستهزئين
وقال وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية أخبرنا القاضي الشهيد
أبو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري

قالا نا أبو الحسين الصيرفي نا أبو يعلى البغدادي نا أبو علي السنجي نا
أبو العباس المروزي نا أبو عيسى الحافظ نا عبد بن حميد نا مسلم بن
إبراهيم نا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق
عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية
والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه
من القبة فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلًا اختار له
أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال من
يمنعك مني فقال الله فأرعدت يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب
برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة
في الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وأن
النبي صلى الله عليه وسلم عفى عنه فرجع إلى قومه وقال جئتكم من عند
خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم
بدر وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين
وذكر مثله وقد روي أنه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي
أمر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وأن الرجل أسلم فلما رجع إلى
قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما كنت

أغوزه

تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري
فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت أنه ملك وأسلمت قيل وفيه
نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا
إليكم أيديهم الآية ٥ وفي رواية ابن الخطابي أن غورث بن الحارث
المحاربي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به إلا وهو
قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب
وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة
وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر أن فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا
اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم الآية ٥ وقيل كان النبي صلى الله عليه
وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي
جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطأ بها
كثيبا أهيل وذكر ابن إسحق عنها أنها لما بلغها نزول تبت يدا
أبي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم أتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها
فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر وأخذ الله ببصرها
عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني

وسماع

وسماع اسمه أو كنايته أو عند الأذان وقد قال عليه السلام رغم
أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى
الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب
وقال لا يصلى عليه إلا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال
أصبغ عن ابن القسم موطنان لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة والعطاس
فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى
الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقاله أشهب قال ولا
ينبغي أن تجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا
وروى النسائي عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر
بالإكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة
عليه والسلم دخول المسجد قال أبو إسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل
المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه
وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر
لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فعل مثل ذلك وجعل
موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى
فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال إن لم يكن في البيت
أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى

قال

عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته
قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي إذا لم يكن
في المسجد أحد فقل السلام على رسول الله وإذا لم يكن في البيت
أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة
إذا دخلت المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب إذا دخل وإذا خرج ولم
يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يفعله إذا دخل المسجد ومثله عن أبي بكر بن عمرو بن حزم
وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف
في ألفاظه ومن مواطن الصلوة عليه أيضا الصلوة على الجنائز
وذكر عن أبي أمامة أنها من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى
عليها عمل الأمة ولم تنكرها الصلوة على النبي وآله في الرسائل وما
يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الأول وأحدث
عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في أقطار الأرض ومنهم
من يختم به أيضا الكتب وقال عليه السلام من صلى علي في
كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب

ومن مواطن التسليم على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا
أبو القسم خلف بن إبرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني
كريمة بنت أحمد قالت حدثنا أبو الهيثم نا محمد بن يوسف نا محمد
بن إسمعيل نا أبو نعيم نا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله
والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنكم إن قلتموها أصابت
كل عبد صالح في السماء والأرض هذا أحد مواطن التسليم عليه وسنته
أول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر أنه كان يقول ذلك
إذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم واستحب مالك في المبسوط أن
يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة أراد ما جاء عن
عائشة وابن عمر أنهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك
أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم واستحب أهل العلم أن ينوي الإنسان حين سلامه
كل عبد صالح في السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن قال
مالك في المجموعة وأحب للمأموم إذا سلم إمامه أن يقول السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلوة عليه والتسليم

حدثنا أبو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه نا القاضي أبو
الأصبغ عيسى بن سهل نا أبو عبد الله بن عتاب نا أبو بكر بن واقد وغيره
نا أبو عيسى نا عبيد الله نا يحيى بن يحيى نا مالك عن عبد الله بن أبي بكر
بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه قال أخبرني أبو حميد
الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم
صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابرهيم وبارك على
محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابرهيم إنك حميد مجيد
وفي رواية مالك عن أبي مسعود الأنصاري قال قولوا اللهم صل على
محمد وعلى آله كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد كما باركت
على آل ابرهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم ٥ وفي رواية
كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابرهيم إنك حميد مجيد
وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الأمي وفي
رواية أبي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر
معناه • وحدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي
الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا نا أبو عبد الله بن سعدون

معين وهو الرابع وفي صحيح البخاري من رواية كعب بن عجرة سمعوا الى والوصعين •

الفقيه قال نا أبو بكر المطوعي قال نا أبو عبد الله الحاكم عن أبي بكر بن أبي
دارم الحافظ عن علي بن أحمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن
عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب
قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال عدهن في يدي جبريل
وقال هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم إنك حميد مجيد اللهم وترحم
على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم إنك حميد
مجيد ٥ اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى
آل ابرهيم إنك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت
على ابرهيم وعلى آل ابرهيم إنك حميد مجيد وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى
علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين
وذريته وأهل بيته كما صليت على ابرهيم إنك حميد مجيد • وفي رواية
زيد بن خارجة الأنصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي
عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم إنك حميد مجيد • وعن سلامة

الكندي كان علي يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرائف صلواتك
ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح
لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل
كما حمل فاضطلع بأمرك ~~لعهدك ماضيا على نفاذ~~ أمرك بطاعتك
مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ
أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت
القلوب بعد خوضات الفتن والإثم وأنهج موضحات الأعلام
ونائرات الأحكام ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن
علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة
اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت
له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول
اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له
نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا
منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم • وعنه أيضا في
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم إن الله وملئكته يصلون على
النبي الآية لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم

والملئكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح
لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد
المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي
إليك بإذنك السراج المنير وعليه السلام • وعن عبد الله بن مسعود
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وإمام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير ورسول الرحمة اللهم
ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم إنك حميد مجيد
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
إنك حميد مجيد • وكان الحسن البصري يقول من أراد أن يشرب
بالكأس الأوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه
وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه
ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين • وعن طاوس
عن ابن عباس أنه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع
درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت ابرهيم وموسى
وعن وهب بن الورد أنه كان يقول في دعائه اللهم أعط محمدا أفضل
ما سألك لنفسه وأعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك وأعط

محمدًا أفضل ما أنت مسؤول له إلى يوم القيمة وعن ابن مسعود أنه كان
يقول إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلوة عليه
فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين
محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة
اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه فيه الأولون والآخرون اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبرهيم إنك حميد مجيد اللهم
بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبرهيم إنك حميد مجيد

وما يؤثر من تطويل الصلوة وتكثير الثناء على

أهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما
علمهم في التشهد من قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي
الله عنه السلام على نبي الله السلام على أنبياء الله ورسله السلام
على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين
والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل
شفاعته واغفر لأهل بيته واغفر لي ولوالديّ وما ولدا وارحمهم
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك أيها النبي

ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث عن علي الدعا للنبي بالغفران ومن
حديث الصلوة عنه أيضًا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الأحاديث
المرفوعة المعروفة ٥ وقد ذهب أبو عمر بن عبد البر وغيره إلى أنه لا يدعى
للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وإنما يدعى له بالصلوة والبركة التي تختص
به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة ٥ وقد ذكر أبو محمد بن أبي زيد في
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدًا وآل محمد كما
ترحمت على إبرهيم وآل إبرهيم ولم يأت هذا في حديث صحيح وحجته قوله
في السلام السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ٥

فصل في فضيلة الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم

حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه نا القاضي
يونس بن مغيث نا أبو بكر بن معوية نا النسائي انا سويد بن نصر انا عبد الله
عن حيوة بن شريح قال أخبرني كعب بن علقمة أنه سمع عبد
الرحمن بن جبير مولى نافع أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما
يقول وصلوا علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرًا ثم سلوا
لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو
أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروي عن

إلا بكثرة صلاتهم علي وفي آخر إن أنجاكم يوم القيمة من أهوالها
ومواطنها أكثركم علي صلوة وعن أبي بكر الصديق الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه
أفضل من عتق الرقاب ٥

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وإثمه

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله نا أبو
الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا نا أبو يعلى نا السنجي نا
محمد بن محبوب نا أبو عيسى نا أحمد بن إبرهيم الدورقي حدثنا ربعي
بن إبرهيم عن عبد الرحمن بن إسحق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن
يغفر له ٥ ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه
الجنة قال عبد الرحمن وأظنه قال أو أحدهما ٥ وفي حديث آخر
أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد المنبر فقال
آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال إن جبريل
صلى الله عليه وسلم أتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك
فمات دخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن أدرك
رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما

فلم يبرهما فمات مثل ذلك وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عنه عليه السلام
أنه قال البخيل الذي إذا ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر
بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت
عنده فلم يصل علي أخطئ به طريق الجنة وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن البخيل كل البخيل من ذكرت
عنده فلم يصل علي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أبو القسم صلى الله عليه وسلم
أيما قوم جلسوا مجلسًا ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على
النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة إن شاء عذبهم وإن شاء
غفر لهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه من نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة
عنه عليه السلام من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن
جابر عنه عليه السلام صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسًا ثم تفرقوا على غير صلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا عن أنتن من ريح الجيفة وعن أبي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسًا لا يصلون فيه على
النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما
يرون من الثواب ٥ حكى أبو عيسى الترمذي عن بعض أهل العلم قال
إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في
ذلك المجلس ٥

فصل في تخصيصه عليه السلام

أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة صلى الله
عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات
وفي رواية وكتب له عشر حسنات • وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم
أن جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا ورفعه
عشر درجات ۵ ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام
لقيت جبريل فقال لي إني أبشرك أن الله يقول من سلم عليك سلمت عليه
ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية أبي هريرة ومالك
بن أوس بن الحدثان وعبيد الله بن أبي طلحة • وعن زيد بن الحباب
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد
وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي • وعن
ابن مسعود أولى الناس بي يوم القيمة أكثرهم علي صلوة وعن
أبي هريرة عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل
الملئكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة صلت
عليه الملئكة ما صلى علي فليقلل من ذلك أو ليكثر • وعن أبي بن كعب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام
فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت

بما فيه فقال أبي بن كعب يا رسول الله إني أكثر الصلوة عليك فكم أجعل
لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وإن زدت
فهو خير قال الثلث قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال النصف
قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وإن
زدت فهو خير قال يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك قال
إذا تكفى همك ويغفر ذنبك • وعن أبي طلحة دخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره قط فسألته
فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فأتاني ببشارة من ربي إن الله
تعالى بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك إلا صلى الله
وملئكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة
والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي
وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن أبي وقاص من
قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام
دينا غفر له وعن ابن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم
علي عشرا فكأنما أعتق رقبة ۵ وفي بعض الآثار ليردن علي أقوام ما أعرفهم

بتبليغ صلوة من صلى عليه أو سلم عليه من الأنام حدثنا القاضي أبو عبد الله
التميمي نا الحسين بن محمد نا أبو عمر الحافظ نا ابن عبد المؤمن نا ابن
داسة نا أبو داود نا ابن عوف نا المقرئ نا حيوة عن أبي صخر حميد بن
زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد
عليه السلام وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى
علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود إن لله ملئكة سياحين في الأرض
يبلغوني عن أمتي السلام ونحوه عن أبي هريرة وعن ابن عمر أكثروا
من السلام على نبيكم كل جمعة فإنه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية
فإن أحدا لا يصلي علي إلا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها • وعن
الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني
وعن ابن عباس ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي
عليه إلا بلغه ۵ وذكر بعضهم أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله
عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي إذا دخلت المسجد
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم

فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث أوس أكثروا علي من الصلوة
يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي وعن سليمن بن سحيم رضي الله عنه
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء
الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وعن
ابن شهاب بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا من
الصلوة علي في الليلة الزهراء واليوم الأزهر فإنهما يؤديان عنكم
وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وما من مسلم يصلي علي إلا حملها ملك
حتى يؤديها إلي ويسميه حتى إنه ليقول إن فلانا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم

وسائر الأنبياء عليهم السلام قال القاضي الإمام أبو الفضل وفقه
الله عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله
عليه وسلم وروي عن ابن عباس أنه لا تجوز الصلوة على غير النبي صلى الله
عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلوة على أحد إلا النبيين وقال
سفين يكره أن يصلى إلا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب
مالك أنه لا يجوز أن يصلى على أحد من الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه
وسلم وهذا غير معروف من مذهبه ۵ وقد قال مالك في المبسوطة
ليحيى بن إسحق أكره الصلوة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به

قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم
وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله
عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى أزواجه وعلى آله وقد وجدت
معلقا عن أبي عمران الفاسي روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على
غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى
وقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم
كما بعثني قالوا والأسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان
العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حديث
صحيح أو إجماع وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته
الآية وقال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
وصل عليهم الآية وقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى وكان إذا أتاه
قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلاة اللهم
صل على محمد وعلى أزواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل أتباعه
وقيل أمته وقيل آل بيته وقيل الأتباع والرهط والعشيرة وقيل آل
الرجل ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية

أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجيء على
مذهب الحسن أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته
على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل
أحمد يريد نفسه لأنه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي
أمر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله عليه السلام
لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث
أبي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته
وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
أبي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الأندلسي والصحيح
من رواية غيره ويدعو لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وروى ابن
وهب عن أنس بن مالك قال كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم
اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار الذين يقومون بالليل
ويصومون بالنهار قال الفقيه القاضي والذي ذهب إليه المحققون
وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن
عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير
الأنبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرا لهم وتعزيزا
كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه

فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء
بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما أمر الله بقوله صلوا
عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان وقال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم وأيضا فهو أمر لم يكن
معروفا في الصدر الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثته الرافضة
والمتشيعة في بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة
وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأيضا فإن التشبه
بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر
الصلاة على الآل والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع
والإضافة إليه لا على حكم التخصيص قالوا وصلاة النبي على من صلى
عليه مجراها مجرى الدعاء والرحمة والمواجهة وليس فيها معنى التعظيم
والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس
بعضهم لبعض وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الإسفرايني من شيوخنا

فصل في حكم زيارة قبره عليه

السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه

وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع
عليها وفضيلة مرغب فيها روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي حدثنا
القاضي أبو علي نا أبو الفضل بن خيرون نا الحسن بن جعفر نا أبو
الحسن علي بن عمر الدارقطني قال حدثنا القاضي المحاملي نا محمد بن
عبد الرزاق نا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن
عمر رضي الله عنهما فذكره وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان
في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة وفي حديث آخر من زارني
بعد موتي فكأنما زارني في حياتي وكره مالك أن يقال زرنا
قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة
الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور وهذا
يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري
فقد أطلق اسم الزيارة وقيل لأن ذلك لما قيل إن الزائر أفضل من
المزور وهذا أيضا ليس بشيء إذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس
عموما وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارة القبور ولم يمنع هذا

قال أبو عمر إنما كره أن يقال

اللفظ في حقه تعالى وقال أبو عمران إنما كره مالك أن يقال
طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس
ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم
مع الناس بهذا اللفظ وأن يخص بأن يقال سلمنا على النبي صلى الله
عليه وسلم وأيضا فإن الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد
المطي إلى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب
وترغيب وتأكيد والأولى عندي أن منعه وكراهة
مالك له لإضافته إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لو
قال زرنا النبي لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل
أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله أعلم قال إسحق بن إبراهيم
الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد إلى
الصلوة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته
ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود
الذي كان يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده
من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن

أبي فديك سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية إن الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال
صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان
ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن أبي سعيد المهري قدمت على
عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام وقال غيره وكان يبرد
إليه البريد من الشام وقال بعضهم رأيت أنس بن مالك أتى قبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلوة
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن
وهب إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر
لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا أرى
أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي
قال ابن أبي مليكة من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم
فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه وقال نافع
كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر يأتي إلى القبر فيقول
السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي ثم ينصرف
وروي واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر

ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والعتبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم إذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا
القبلة يدعون وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي أنه كان يقف
على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
أبي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لأبي بكر وعمر قال مالك
في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته قال في المبسوط ويسلم على أبي بكر وعمر قال القاضي أبو
الوليد الباجي وعندي أنه يدعو للنبي بلفظ الصلوة ولأبي بكر وعمر
كما في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول إذا
دخل مسجد الرسول عليه السلام بسم الله وسلام على رسول الله عليه
السلام السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من ربنا وصلى الله وملائكته
على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني
من الشيطان الرجيم ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر
فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت
إليه والعون عليه وإن كانت ركعتاك في غير الروضة أجزأتاك وفي
الروضة أفضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة
من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا

متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو
لهما وأكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا
تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد
ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما
بين ذلك قال محمد وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك
من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله
عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرجت
فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب
فضلك وفي رواية أخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول
إذا خرج اللهم إني أسألك من فضلك وفي أخرى اللهم احفظني
من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون
إذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها
النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله
توكلنا وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة أيضا
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم
ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى

عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله ٥ وفي رواية بسم الله والسلام
على رسول الله وعن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد
قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي هريرة
إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم
افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من
أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء وقال فيه أيضا لا بأس
لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له فإن ناسا من
أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة
أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين أو أكثر
عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل
الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها
ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك
ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم ورأيت أهل
المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي
قال الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا
لذلك وأهل [illegible] يمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم

فيها

صلى الله عليه وسلم

وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن
كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا
يمسه ولا يقف عنده طويلا ٥ وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأحب مواضع التنفل فيه مصلى
النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق وأما في الفريضة فالتقدم
إلى الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من التنفل في البيوت ٥٥
فصل فيما يلزم من دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الأدب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد
مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله
تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه روي
أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو
قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم [illegible]
وعن ابن عباس أنه مسجد قباء حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي
عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ نا أبو عمر النمري نا أبو محمد
عبد المؤمن نا أبو بكر بن داسة نا أبو داود نا مسدد نا سفين عن الزهري
عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد
الأقصى وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه
وسلم عند دخول المسجد عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه
الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك
رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه
فقال ممن أنت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين
لعلوتكما بالدرة إن مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة
لا ينبغي لأحد أن يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الأذى وأن
ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه
في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون أن
حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة
ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما
يخلط عليهم صلاتهم وليس مما خص به المساجد رفع الصوت قد كره
رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات إلا المسجد الحرام ومسجدنا
وقال أبو هريرة عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من ألف
صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ٥ قال الفقيه القاضي اختلف الناس

قال المؤلف رحمه الله

في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب
مالك في رواية أشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه إلى
أن معنى الحديث أن الصلاة في مسجد الرسول عليه السلام أفضل من
الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام فإن الصلاة
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الألف
واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام خير من
مائة صلاة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول عليه السلام بتسع
مائة وعلى غيره بألف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه
وهو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين وذهب أهل
مكة والكوفة إلى تفضيل مكة وهو قول ابن وهب وعطاء وابن حبيب
من أصحاب مالك وحكاه الباجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء
في الحديث المتقدم على ظاهره وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل
واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم
مثل حديث أبي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة
في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلاة
في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد بمائة ألف ولا
خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض قال [illegible] أبو الوليد

الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم
منه حكمها مع المدينة • وذهب الطحاوي إلى أن هذا التفضيل
إنما هو في صلاة الفرض ٥ وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك
في النافلة أيضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان
وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه
وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله
عن أبي هريرة وأبي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث
آخر ومنبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان أحدهما
أن المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع أنه روي ما بين
حجرتي ومنبري ٥ والثاني أن البيت هنا القبر وهو قول زيد بن أسلم
في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري وإذا كان
قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لأن قبره
في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل أنه منبره بعينه
الذي كان في الدنيا وهو أظهر والثاني أن يكون له هناك منبر والثالث
أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض
ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل
معنيين أحد ... لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه تستحق ذلك

من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني أن تلك البقعة قد
ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة
من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على
لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيمة
وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال إنما
المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال عليه السلام لا يخرج
أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه وروي عنه عليه
السلام من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم القيمة
لا حساب عليه ولا عذاب ٥ وفي طريق أخر بعث من الآمنين يوم
القيمة وعن ابن عمر من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني
أشفع لمن يموت بها وقال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي
ببكة إلى قوله آمنا ٥ قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل
كان يأمن من الطلب من أحدث حدثا ولجأ إليه في الجاهلية وهذا
مثل قوله تعالى وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا على قول بعضهم
وحكي أن قوما أتوا سعدون الخولاني بالمنستير فأعلموه أن كتامة
قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي أبيض اللون
فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت أن ... حجة أدى فرضه

ومن حج ثانية داين ربه فينادي غدا ملك من عند الله من كان له
على الله دين فليقم ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ٥
ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال مرحبا
بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك ٥ وفي الحديث عنه عليه السلام
ما من أحد يدعو عند الركن الأسود إلا استجاب الله له وكذلك عند
الميزاب • وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة من الآمنين ٥ قرأت على
القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثك أبو العباس العذري قال نا أبو
أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي نا الحسن بن رشيق سمعت أبا
الحسين محمد بن الحسن بن راشد سمعت أبا بكر محمد بن إدريس سمعت الحميدي
قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن
عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء
في هذا الملتزم إلا استجيب له قال ابن عباس وأنا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وأنا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي وقال
سفيان وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو إلا

استجيب لي وقال الحميدي وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لي وقال محمد بن إدريس وأنا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي إلا استجيب لي وقال
أبو الحسين محمد بن الحسن وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من محمد بن إدريس إلا استجيب لي قال أبو أسامة وما
أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب لي من أمر الدنيا وأنا
أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة قال العذري وأنا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي أسامة إلا استجيب لي ٥
قال أبو علي وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة استجيب لي بعضها
وأنا أرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها قال القاضي
أبو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وإن لم يكن
من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله
الموفق للصواب برحمته ٥

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل أو يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه

قال الله تعالى وما محمد إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل ... ما المسيح بن

مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان
الطعام ٥ وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الأسواق ٥ وقال قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية
فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء
من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول
عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
أي لما كان إلا في صورة البشر الذين تمكنهم مخاطبتهم إذ لا
تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته
وقال لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من
السماء ملكا رسولا أي لا يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من
جنسه أو من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالأنبياء
والرسل فالأنبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم
أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم ما لم يعلموه من أمره
وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسادهم
وبنيتهم متصفة بأوصاف ... ي عليها ما يطرأ على البشر
من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم
وبواطنهم ... اص أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى

متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز
البشرية ولا ضعف الإنسانية إذ لو كانت بواطنهم ... للبشرية
كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم
كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت أجسامهم وظواهرهم
متسمة بنعوت الملائكة بخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه
مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الأجسام
والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال
عليه السلام لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن
أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا
ينام قلبي ٥ وقال إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني
فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات
وهذه جملة لن تكتفي بمضمونها كل همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط
وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية

والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ٥ قال
القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات
على آحاد البشر لا تخلو أن تطرأ على جسمه أو ... بقصد واختيار

كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل
ولكن جرى ... المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول
باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات
بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم
وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد
قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه
عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما
سنبينه إن شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل

فصل

في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته
اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم
بالله وصفاته والإيمان به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح
العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب
فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع إجماع
المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء
سواه ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم في إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى
ولكن أراد ... المنازعة بمشاهدة الإحياء فحصل له العلم

الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني
أن إبراهيم عليه السلام إنما أراد اختبار منزلته عند ... علم إجابته دعوته
بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتك
مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث أنه سأل زيادة يقين
وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية
قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في
النظريات فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من
علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ٥ ولهذا قال سهل
بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله
الوجه الرابع أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت
طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم
هو سؤال على طريق الأدب المراد أقدرني على إحياء الموتى وقوله ليطمئن
قلبي عن هذه الأمنية الوجه السادس أنه رأى من نفسه الشك وما شك
لكن ليجاوب فيزداد قربة وقوله ... نا عليه السلام نحن أحق بالشك
من إبراهيم نفي لأن يكون إبراهيم ش... اد للخواطر الضعيفة أن تظن
هذا بإبراهيم أي نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى فلو شك إبراهيم
لكنا أولى بالشك منه إما على طريق الأدب ... ته الذين

يجوز عليهم الشك ... طريق التواضع والإشفاق إن حملت قصة إبرهيم
على اختبار حال ... ه بيقينه فإن قلت فما معنى قوله فإن كنت في شك
مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك الآية
فاحذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن
ابن عباس أو غيره من إثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي
إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس
لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن
وحكى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل
وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل
يا محمد للشاك إن كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل
على هذا التأويل قوله قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني الآية
وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما
قال لئن أشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله
فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ... ونظيره كثير قال بكر بن العلاء
ألا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله وهو عليه
السلام كان المكذب فيما يدعوا إليه فكيف يكون ممن كذب
به فهذا كله ... المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الآية قوله

الرحمن فاسأل به خبيرا ه المأمور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل
النبي عليه السلام هو الخبير المسئول لا المستخبر ... وقيل إن هذا
الشك الذي أمر غير النبي بسؤال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك إنما هو
فيما قصه الله من أخبار الأمم لا فيما دعا إليه من التوحيد والشريعة
ومثل هذا قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية المراد
به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله
القتيبي وقيل معناه سلنا عمن أرسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم
الكلام ثم ابتداء الكلام أجعلنا من دون الرحمن إلى آخر الآية على
طريق الإنكار أي ما جعلنا حكاه مكي وقيل أمر النبي صلى الله عليه
وسلم أن يسأل الأنبياء ليلة الإسراء عن ذلك فكان أشد يقينا من
أن يحتاج إلى السؤال فروي أنه قال لا أسأل قد اكتفيت قاله
ابن زيد وقيل سل أمم من أرسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد
وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا
والذي قبله إعلامه بما بعثت ... الرسل وأنه تعالى لم يأذن
في عبادة غيره لأحد ردا على مشركي ... العرب وغيرهم في قولهم
إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم
الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا ... من الممترين

أي في علمهم ... رسول الله وإن لم يقروا بذلك وليس المراد به
شكه فيما ذ ... الآية وقد يكون أيضا على مثل ما تقدم أي قل
لمن امترى ... لا تكونن من الممترين بدليل قوله أول الآية
أفغير الله أبتغي حكما الآية وأن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب
بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي
إلهين من دون الله وقد علم أنه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك
فاسأل تزدد طمأنينة وعلما إلى علمك ويقينك وقيل إن كنت تشك
فيما شرفناك وفضلناك به فسألهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك
وحكي عن أبي عبيدة أن المراد إن كنت في شك من غيرك فيما أنزلناه
فإن قيل فما معنى قوله حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا
على قراءة التخفيف قلنا المعنى من ذلك ما قالته عائشة رضي الله
عنها معاذ الله أن تظن ذلك الرسل بربها وإنما معنى ذلك أن الرسل
لما استيأسوا ظنوا أن من وعدهم النصر من أتباعهم كذبوهم وعلى
هذا أكثر المفسرين وقيل ... ظنوا عائد على الأتباع والأمم
لا على الأنبياء والرسل وهو قول ... ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة
من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من
شاذ التفـ ... لمن هو منصب العلماء فكيف بالأنبياء وكذلك

ما ورد في حديث السيرة ومبتدأ الوحي من قوله لخديجة لقد ... على نفسي
ليس معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك وا ... لكن خشي ألا
يحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي فينخلع قلبه أو تزهق نفسه هذا
على ما ورد في الصحيح أنه قاله بعد لقائه الملك ويكون ذلك قبل لقياه
الملك وإعلام الله له بالنبوة لأول ما عرضت عليه من العجائب وسلم
عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق
هذا الحديث أن ذلك كان أولا في المنام ثم أري في اليقظة مثل ذلك
تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله
لأول حاله بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة أول ما بدئ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة قالت ثم حبب
إليه الخلاء وقالت إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس
مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى
الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى إليه وقد روى ابن إسحق
عن بعضهم أن النبي صلى الله عليه ... قال وذكر جواره بغار حراء
قال فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ قلت ما ... وذكر نحو حديث عائشة في
غطه له وإقرائه اقرأ باسم ربك الذي خلق قال فانصرف عني وهببت
من نومي كأنما صورت في قلبي ولم يكن أبغض إلي ... شاعر أو مجنون

قلت لا [illegible] هذا أبدا لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن
نفـ[illegible] بينا أنا عامد لذلك إذ سمعت منادياً ينادي من
السماء [illegible] الله وأنا جبريل فرفعت رأسي فإذا جبريل
على صورة رجل وذكر الحديث فقد بيّن في هذا أن قوله لما قال
وقصده لما قصد إنما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل إعلام
الله له بالنبوة وإظهاره واصطفائه له بالرسالة ٥ ومثله حديث عمرو بن
شرحبيل أنه عليه السلام قال لخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعت
نداء وقد خشيت والله أن يكون هذا لأمر ٥ ومن رواية حماد بن
سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني لأسمع صوتا وأرى ضوءا
وأخشى أن يكون بي جنون ٥ وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه
الأحاديث أن الأبعد شاعر أو مجنون وألفاظا يفهم منها معاني الشك
في تصحيح ما رآه وأنه كان كله في ابتداء أمره وقبل لقاء الملك له وإعلام
الله أنه رسوله فكيف وبعض هذه الألفاظ لا تصح طرقها وأما بعد إعلام
الله تعالى له ولقائه الملك فلا [illegible]ب ولا يجوز عليه شك فيما
ألقي إليه وقد روى ابن إسحاق [illegible]خه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يرقى من العين [illegible]ل أن ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن
أصابه نحو [illegible] الت له خديجة أوجه إليك من يرقيك ٥

والفلو الضبيس لا يمنع سرحها ولا يعضد طلحها ولا يحبس دركم ما لم
تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة
ومن أبى فعليه الربوة ٥ ومن كتابه لوائل بن حجر إلى الأقيال العباهلة
والأرواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الألياط
ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر
فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه
بالأضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله تعالى وكل
مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الأقيال أين هذا من كتابه
لأنس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم
على هذا النمط وأكثر استعمالهم هذه الألفاظ استعملها معهم ليبين
للناس ما نزل إليهم وليحدث الناس بما يعلمون ٥ وكقوله في حديث
عطية السعدي فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة
قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا ٥ وقوله في
حديث العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
سل عنك أي سل عما شئت وهي لغة بني عامر ٥ وأما كلامه
المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة
فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها

الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله عليه الصلاة
والسلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم
يد على من سواهم ٥ وقوله الناس كأسنان المشط والمرء مع
من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن
وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم
ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم ٥ وقوله أسلم تسلم
وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ٥ [illegible]كم إلي وأقربكم مني مجالس
يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون
وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه ٥ وقوله
ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ٥ ونهيه عن قيل وقال وكثرة
السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات ووأد
البنات ٥ وقوله اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن ٥ وقوله خير الأمور أوساطها ٥ وقوله
أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ٥ وقوله
الظلم ظلمات يوم القيامة ٥ وقوله في بعض دعائه اللهم إني أسألك
رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي وتصلح بها
غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد

بها

بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ونزل
الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء إلى ما روته الكافة من
مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا
خلاف أنه نزل من ذلك مرقبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا
لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها ولا قدر
أحد أن يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف
أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في أخواتها
ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في أداني
حكمها ٥ وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال
وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين ٥ وقال مرة أخرى
بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم
قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها
إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري
وقالت أم معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر
كأن منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله
عليه وسلم ٥ فصل وأما شرف نسبه صلى الله عليه وسلم
وكرم بلده ومنشئه فلا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان

مشكل ولا خفي منه فإنه نخبة بني هاشم سلالة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله ثنا القاضي أبو الوليد سليمن بن خلف ثنا أبو ذر عبد بن أحمد ثنا أبو محمد السرخسي وأبو إسحق وأبو الهيثم قالوا ثنا محمد بن يوسف قال ثنا محمد بن إسمعيل قال ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه ۵ وعن العباس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً ۵ وعن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبرهيم إسمعيل واصطفى من ولد إسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح ۵ وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبري أنه صلى الله عليه وسلم

قال إن الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم أزل خياراً من خيار ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم ۵ وعن ابن عباس أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهبطني الله تعالى إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب إبرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط ولتشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور

فصل

وأما ما تدعو ضرورة الحيوة إليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الأحوال فيه فأما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقاً وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما ١٩

لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لأدواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما أن كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواتراً من كلام الأمم المتقدمة والحكماء السالفين وأشعار العرب وأخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج إلى الاستشهاد عليه اختصاراً واقتصاراً على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ من هذين الفنين بالأقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي أمر به وحض عليه لا سيما بارتباط أحدهما بالآخر حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح ثنا معوية بن صالح أن يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة

فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولأن كثرة النوم من كثرة الشرب والأكل ۵ قال سفيان الثوري رحمه الله بقلة الطعام يملك سهر الليل ۵ وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتخسروا كثيراً وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف أي كثرة الأيدي ۵ وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط وأنه كان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله ألم أر البرمة فيها لحم إذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم أنه لا يحل له فأراد بيان سنته إذ رآهم لم يقدموه إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون عليه فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية ۵ وفي حكمة لقمان يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع ۵ وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئاً والاتكاء هو التمكن للأكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من

الجلوس

من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه
الهيئة تستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان
جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل
العبد وأجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على
شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان
قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال صلى الله
عليه وسلم إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه
الأيمن استظهارا على قلة النوم لأنه على الجانب الأيسر أهنأ
لهدوء القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة حينئذ لميلها إلى الجانب
الأيسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول وإذا نام النائم على
الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق

فصل والضرب الثاني هو ما يتفق التمدح بكثرته والفخر
بوفوره كالنكاح والجاه أما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه
دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة
معروفة والتمادح به سيرة ماضية وأما في الشرع فسنة مأثورة
وقد قال ابن عباس أفضل هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إليه
صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا فإني مباه
تناسلوا

بكم الأمم يوم القيامة ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر
اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول
فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح
في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن إلى سيد المرسلين فكيف
نزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة رضي الله عنهم
كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك
عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم غير شيء وقد كره
غير واحد أن يلقى الله عزبا فإن قلت كيف يكون النكاح وكثرته
من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام قد أثنى الله عليه
أنه كان حصورا فكيف يثني عليه الله بالعجز عما تعد فضيلة
وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم
أن ثناء الله على يحيى أنه حصور ليس كما قال بعضهم إنه كان هيوبا
أو لا ذكر له بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا
هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما معناه أنه
معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصر عنها وقيل مانعا نفسه
من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا
أن عدم القدرة على النكاح نقص وإنما الفضل في كونها موجودة ثم

قمعها إما بمجاهدة كعيسى عليه السلام أو بكفاية من الله كيحيى عليه السلام
فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الأوقات حاطة إلى الدنيا
ثم هي في حق من أقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله
عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا عليه الصلاة والسلام الذي لم
تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه
بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن بل صرح أنها ليست من
حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال عليه الصلاة
والسلام حبب إلي من دنياكم فدل أن حبه لما ذكر من النساء والطيب
اللذين من أمور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لآخرته
للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولأنه
أيضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك أسبابه وكان حبه لهاتين
الخصلتين لأجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته
في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل
بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى
يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله
عليه وسلم ممن أقدر على القوة في هذا وأعطي الكثير منه ولهذا أبيح
له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن أنس أنه صلى الله

عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار
وهن إحدى عشرة قال أنس وكنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين رجلا
خرجه النسائي وروي نحوه عن أبي رافع وعن طاوس أعطي عليه الصلاة
والسلام قوة أربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم
وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع وتطهر
من كل واحدة منهن قبل أن يأتي الأخرى وقال هذا أطهر وأطيب
وقد قال سليمان عليه السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع
وتسعين وأنه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة
رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام
على زهده وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج أوريا مائة
وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله إن هذا أخي له تسع
وتسعون نعجة وفي حديث أنس عنه عليه الصلاة والسلام
فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش
وأما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب
وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والآخرة
لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه
من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو

في الأرض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث أبي مسعود أن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فإني لست بملك الحديث ٥ فأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم بأسره

فصل

وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة

في صاحبه عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وإنما هو للتوصل به إلى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه إذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير مليء بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح به عند أحد من العقلاء بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه إذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فأشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده منه شيء والمنفق غني مليء بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من بلاد الشام والعراق وجلبت إليه من أخماسها

وجلب

وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال عليه السلام ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا دينارا أرصده لديني وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها ٥ وقال الآن استرحت ٥ ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس إنما يعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الأرض وجبي إليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر

بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زائدا عليها في الفخر ومعرق في المدح بإضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

فصل

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهي المسماة حسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وإنك لعلى خلق عظيم ٥ قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه الصلوة والسلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ٥ وعن علي بن أبي طالب مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية وهكذا سائر الأنبياء عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق

صلوات الله وسلامه عليه وعليهم

ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا ٥ قال المفسرون أعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين أو ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال ألِلّعب خلقت وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له أنه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال إن المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود أبوه وحكى الطبري أن عمره كان حين أوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره

وقال

وقال ابن عطاء اصطفاه قبل إبداء خلقه وقال بعضهم لما ولد إبراهيم عليه السلام بعث الله إليه ملكا يأمره عن الله أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده وقيل إن إلقاء إبراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وإن ابتلاء إسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين وإن استدلال إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل أوحى الله تعالى إلى يوسف وهو صبي عندما هم إخوته بإلقائه في الجب يقول الله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا الآية إلى غير ذلك مما ذكر من أخبارهم ٥ وقد حكى أهل السير أن آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه إلى الأرض رافعا رأسه إلى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ

أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الأخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت أو الشهامة أو صدق اللسان أو السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ٥ ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة أو مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما أصلناه ٥ وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الشريفة كثيرة ولكنا نذكر أصولها ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها إن شاء الله

فصل أما أصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب

الرأي

الرأي وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد أشرنا إلى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه وإذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحققة عند من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة وإشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته إن شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الأقاصيص والقضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع

صلى الله عليه وسلم

وبحسب عقله كانت معارفه عليه الصلاة والسلام إلى سائر ما
علمه الله وأطلعه عليه من علم ما كان وما يكون وعجائب قدرته
وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن
دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي إليه

فصل

وأما الحلم
والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه
الألقاب فرق فإن الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات
والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر
ومعانيها متقاربة وأما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله
مما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو
وأمر بالعرف الآية روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم
ثم ذهب ثم أتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك وقال له واصبر على ما أصابك
الآية وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال
وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم
الأمور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وأن كل حليم قد عرفت منه

زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة
الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما حدثنا القاضي
أبو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا نا محمد بن عتاب نا أبو
بكر القاضي وغيره قالوا نا أبو عيسى نا عبيد الله نا يحيى نا مالك
عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما
لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول
الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها
روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه
يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال
إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا
يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه
بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا
تذر على الأرض من ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا
فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن
تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي
أبو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل وغاية

ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس

الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفى
ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر أو اهد
ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم
فقال فإنهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة ما
أريد بها وجه الله لم يزده في جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه
وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت
وخسرت إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله ولما تصدى
له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم
منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف صلتا
في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده
فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال
كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند
خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته
في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وأنه لم يؤاخذ
لبيد بن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه بشرح أمره ولا عتب
عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبي وأشباهه

من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن أشار بقتل
بعضهم لا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه وعن أنس كنت مع النبي صلى الله
عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة
شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل
لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك
ولا من مال أبيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال
مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي قال لا
قال لم قال لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه
وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة
رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من
مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده
شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وأتي إليه
برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي وجاء زيد بن سعنة
قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع
ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله
عنه وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني
بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من أجله ثلاث وأمر (صلى الله عليه وسلم)
عمر أن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب إسلامه
وذلك أنه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها
في محمد إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل إلا (احدها)
حلما فأخبرته بهذا فوجدته كما وصف ٥ والحديث عن حلمه عليه الصلوة
والسلام وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه
وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواترا
مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرته
الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا
يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن
عفا وصفح وقال ما تقولون إني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم
وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم
اليوم الآية اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال أنس هبط ثمانون رجلا
من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم وقال لأبي سفيان وقد
سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه ومثل

رسول الله صلى الله عليه وسلم

بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن
تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك
وأكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضبا (وأسرعهم)
وأسرعهم رضا صلى الله عليه وسلم

فصل

وأما الجود والكرم
والسخا والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق
فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه
وسموه أيضا جرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه
المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخا سهولة
الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير (الخلق)
وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة
ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي
الصدفي رحمه الله ثنا القاضي أبو الوليد الباجي ثنا أبو ذر الهروي
ثنا أبو الهيثم الكشميهني وأبو محمد السرخسي وأبو إسحق البلخي قالوا ثنا
أبو عبد الله الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن ابن
المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه
وسلم عن شيء فقال لا وعن أنس وسهل بن سعد مثله وقال ابن
عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود

كان

ما يكون في شهر رمضان وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود
بالخير من الريح المرسلة وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما
بين جبلين فرجع إلى بلده (قومه) فقال فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة (أسلموا)
وأعطى غير واحد مائة من الإبل وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة
وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وقد قال (خلقه)
له ورقة بن نوفل إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن
سباياها وكانوا ستة آلاف وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق
حمله وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها
يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها ٥ وجاءه رجل فسأله فقال ما
عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر رضي
الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي
العرش إقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف
البشر في وجهه وقال بهذا أمرت ذكره الترمذي وذكر عن
معوذ بن عفراء أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب
يريد طبقا وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا
وقال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر

صوابه عن الربيع بنت معوذ بن عفراء ووجد في نسخة على الصواب ٥

رضي الله عنه — وكرمه

بجوده صلى الله عليه وسلم كثير وعن أبي هريرة أتى رجل النبي صلى الله
عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق
فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل

فصل

وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب
وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت
حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم
منها بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر
الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا
يتزحزح وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة
سواه حدثنا أبو علي الجياني فيما كتب إلي ثنا القاضي سراج ثنا
أبو محمد الأصيلي ثنا أبو زيد الفقيه ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن
إسمعيل ثنا ابن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحق سمع البراء
وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته (قال)
على بغلته البيضاء وأبو سفين آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه
وسلم يقول أنا النبي لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب
قيل فما رؤي (يومئذ) أحد كان أشد منه وقال غيره نزل النبي صلعم

عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقا المسلمون والكفار
ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته
نحو الكفار وانا آخذ بلجامها أكفها ارادة أن لا تسرع وابو سفيان آخذ
بركابه ثم نادا يا للمسلمين الحديث **وقد كان رسول الله**
صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء
وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا
أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله
عنه إنا كنا اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى
العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه
وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان أشد الناس يومئذ
بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم
اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم
أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة
ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي
طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران

بن حصين ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب
ولما رآه أبي ابن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجا
وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدي يوم
بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أحد
شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه
رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أي
خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعرا عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي
صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه
مرارا وقيل بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني
محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس
لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني ومات بسرف
في قفولهم الى مكة **فصل وأما الحيا والإغضا**
والحيا رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته
أو ما يكون تركه خيرا من فعله والإغضا التغافل عما يكره
الإنسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد

وإما أن تنصرف وفي رواية أخرى اركب أمامي فصاحب الدابة أولى
بمقدمها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم
كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير
أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه يتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه
نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه
أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة
لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه
فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن أبي هالة
قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي
ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو
كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى ادفع بالتي
هي أحسن الآية وكان يجيب من دعاه ويأكل الهدية ولو كانت كراعا
ويكافي عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا
لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن
خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه

ولا أهل بيته إلا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم وكان يمازح أصحابه
ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة
الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة
ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم أحد أذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما
أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه
بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه
بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد
يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي
تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم
بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز بنهي
أو قيام ويروى أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف
صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد الى صلاته وكان أكثر
الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب
قال عبد الله بن الحرث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن انس كان خدم المدينة يأتون رسول الله

صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا
غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك

فصل وأما الشفقة والرأفة لجميع الخلق

فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رءوف رحيم وقال بعض الإمام أبو بكر بن فورك وقال
الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه نا إمام
الحرمين أبو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد
الجلودي نا إبراهيم بن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا أبو الطاهر
نا ابن وهب نا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى
الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فأعطى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال
ابن شهاب قال سعيد بن المسيب إن صفوان قال والله لقد
أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى إنه
لأحب الخلق إلي وروي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا
فأعطاه ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب
المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل
منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم

فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك
قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين
أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال
نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم إن هذا
الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله
من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا
مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا
نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم
وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى
جاءت فاستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو
تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي أنه
صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا
فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن شفقته على
أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته
أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله عليه الصلاة والسلام
لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة
الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت

أمته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وإنه كان يسمع
بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم
أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك
له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة
ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له إن الله تعالى قد
سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره
بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما
شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال النبي صلى الله
عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله
وحده لا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه
السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى أمر السماء
والأرض والجبال أن تطيعك فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب
عليهم قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما وقال ابن مسعود
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة
علينا وعن عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة
فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق

فصل وأما خلقه صلى الله عليه وسلم

في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم قال القاضي أبو عامر محمد بن
إسمعيل بقراءتي عليه قال نا أبو بكر محمد بن محمد نا أبو إسحق الحبال
نا أبو محمد بن النحاس نا ابن الأعرابي نا أبو داود نا محمد بن يحيى نا محمد بن
سنان نا إبرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله
بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم
ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في
مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا
هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا هاهنا منذ ثلاث
أنتظرك وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي
بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة
لخديجة إنها كانت تحب خديجة وعن عائشة رضي الله عنها
ما غرت على أحد ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها
وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها واستأذنت عليه
أختها فارتاح إليها ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال
عنها فلما خرجت قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن
العهد من الإيمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه

من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ٥ وقال صلى الله عليه وسلم إن آل
أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها وقد صلى عليه
بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام
حملها وعن أبي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه
وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا لأصحابنا
مكرمين وإني أحب أن أكافئهم ٥ ولما جيء بأخته من الرضاعة
الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها إن
أحببت أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت
إلى قومك فاختارت قومها وقال أبو الطفيل رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه
فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته
وعن عمرو بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه
فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر
فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان يبعث إلى ثويبة مولاة
أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرا

فقيل لا أحد ٥ وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له صلى الله
عليه وسلم أبشر لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ٥

فصل وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم

على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعا وأقلهم
كبرا وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا
فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال له إسرافيل عند ذلك فإن الله
قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول
من تنشق الأرض عنه وأول شافع حدثنا أبو الوليد بن العواد
الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة
قال نا أبو علي الحافظ نا أبو عمر نا ابن عبد المؤمن نا ابن
داسة نا أبو داود نا أبو بكر بن أبي شيبة نا عبد الله بن نمير
عن مسعر عن أبي العنبس عن أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي
غالب عن أبي أمامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم
يعظم بعضها بعضا وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس
كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين

ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيث
ما انتهى به المجلس جلس ٥ وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما أطرت
النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن أنس أن
امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت إن لي إليك حاجة فقال اجلسي يا أم
فلان في أي طرق المدينة شئت أجلس حتى أقضي حاجتك قال
فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من
حاجتها قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب
الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم
بحبل من ليف عليه إكاف قال وكان يدعى إلى خبز الشعير
والإهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث
وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا
لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش
المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا
لله تعالى ٥ ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني
على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الأنبياء ولا تخيروني على موسى
ونحن أحق بالشك من إبراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف
في السجن لأجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذلك

إبراهيم وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله تعالى
وعن عائشة رضي الله عنها والحسن وأبي سعيد وغيرهم في صفته
وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه
ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم
البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم
ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن أنس إن كانت الأمة من
إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق
به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ٥ ودخل عليه رجل فأصابه
من هيبته رعدة فقال له هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن
امرأة من قريش تأكل القديد وعن أبي هريرة دخلت
السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال
للوزان زن وأرجح وذكر القصة قال فوثب إلى يد النبي
صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الأعاجم
بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت
لأحمله فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله

فصل وأما عدله صلى الله عليه وسلم وأمانته وعفته

وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس وأعدل

الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه
وعداه وكان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة
وقال تعالى مطاع ثم أمين أكثر المفسرين على أنه محمد صلى
الله عليه وسلم ولما اختلف قريش وتحازبت عند بناء الكعبة
فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي صلى الله عليه
وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد رضيناه
وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الجاهلية قبل الإسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله إني
لأمين في السماء أمين في الأرض حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي
عليه نا أبو الفضل بن خيرون نا أبو يعلى بن زوج الحرة نا
أبو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي نا أبو عيسى الحافظ نا
أبو كريب عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه أن أبا
جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكنا نكذب
بما جئت به فأنزل الله فإنهم لا يكذبونك الآية وروى غيره
لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وقيل إن الأخنس بن شريق
لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك
يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل

قبل نبوته وقال ابن إسحق كان يسمى الأمين

والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه أبا
سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال
قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا
أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم
في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو
بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها
وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلاة
والسلام أصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل
إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل قالت عائشة
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين إلا اختار أيسرهما
ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه قال
أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم
الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال
ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم
جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ
جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول

أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع أمنه
الله يوم الفزع الأكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يأخذ أحدا بقرف أحد ولا يصدق أحدا على أحد وذكر
أبو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم
ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل
ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى
أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت
لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك
حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير
لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب على أذني فنمت فما أيقظني إلا
مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك
ثم لم أهم بعد ذلك بسوء

فصل وأما وقاره صلى
الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه
فحدثنا أبو علي الجياني الحافظ إجازة وعارضت بكتابه نا أبو
العباس الدلائي نا أبو ذر الهروي نا أبو عبد الله الوراق نا
اللؤلؤي نا أبو داود نا عبد الرحمن بن سلام نا حجاج بن محمد
عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهب

سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في
مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه وروى أبو سعيد الخدري
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه
وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن
جابر بن سمرة أنه تربع وربما قعد القرفصاء وهو في حديث قيلة وكا
كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل
وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك
أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء
وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم إذا تكلم
أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي
هونا كأنما ينحط من صبب وفي الحديث الآخر إذا مشى مشى
مجتمعا يعرف في مشيته أنه غير غرض ولا وكل أي غير ضجر
ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود إن أحسن الهدي هدي
محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عبد الله كان في كلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل قال ابن أبي هالة كان
سكوته على أربع الحلم والحذر والتقدير والتفكر وقالت عائشة
رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا

نشرت واحد نهار جمعه والرواجب بطون السلاميات واحدها راجبه والسلاميات واحدها سلامى وهي العظام التي متصلة من مفاصل الاصابع ونعاله لها الفصوص والله اعلم حاشيه

لو عن العادة أحصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة
الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب إلي من دنياكم
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن مروءته صلى
الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والأمر
بالأكل مما يلي والأمر بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال
خصال الفطرة

فصل وأما زهده في الدنيا

فقد تقدم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله
منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت
عليه فتوحها أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه
مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم
اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين
بن محمد الحافظ الجلودي نا ابن سفيان نا أبو الحسين بن الحجاج
نا أبو العباس محمد قال أبو بكر بن أبي شيبة نا أبو معاوية عن
الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت ما
شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى
مضى لسبيله وفي رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى وقالت عائشة ما ترك رسول

قال نا أبو العباس الرازي قال نا أبو احمد
شعير يومين متواليين ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال

وستعملها — السنزة — والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا نا أحمد بن عمر — وفي رواية أخرى من خبز شعير — محمد

الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا
وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها
صدقة قالت عائشة ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد
إلا شطر شعير في رف لي وقال لي إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء
مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي
أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك
وأثني عليك وفي حديث آخر أن جبريل عليه السلام نزل عليه
فقال له إن الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك
هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فأطرق ساعة ثم قال
يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا
عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة
رضي الله عنها إن كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا
إن هو إلا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير
وعن عائشة رضي الله عنها وأبي أمامة وابن عباس نحوه قال
ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو
وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن أنس قال

ابن عباس — قالت

ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة
ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط وعن عائشة رضي الله عنها
إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدما حشوه ليف وعن حفصة
كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه
ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتم
لي الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فإن وطأته منعتني
الليلة صلاتي وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط
حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله
عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة
أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته
من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء لسأل ربه جميع كنوز
الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى
وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء
لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا
إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من
هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل
ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا

وفراش رسول الله صلى الله عليه وسلم — بيتي — ثنيتين — جنبه — أراه

دونهم وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت فما
أقام بعد إلا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم

فصل وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته

فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه أبو محمد بن عتاب قراءة
مني عليه نا أبو القسم الطرابلسي نا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد
المروزي نا أبو عبد الله الفربري نا محمد بن إسمعيل نا يحيى بن بكير
عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا
هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في رواية عن أبي
عيسى الترمذي رفعه إلى أبي ذر إني أرى ما لا ترون وأسمع ما
لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع
أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى والله لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على
الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني
شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت أني شجرة تعضد من قول
أبي ذر نفسه وهو أصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية يصلي حتى ترم قدماه فقيل له

أنه كان

أتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون
عبدا شكورا ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة وقالت عائشة كان عمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت
كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس
وأم سلمة وأنس وقال كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته مصليا
ولا نائما إلا رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ
فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب
إلا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي
الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران
ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا
من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل
عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير أتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل
قال ابن أبي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال عليه الصلاة والسلام

على أيه ح / ح / سبحان الله ذي

إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي
الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته
فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق
مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم
سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي
واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة
عيني في الصلوة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي
وشوقي إلى ربي

فصل اعلم وفقنا الله وإياك

أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق
وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه
الصفة لأنها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم إذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم
أرفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم
على العالمين وقال عليه الصلوة والسلام إن أول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخرها الحديث على خلق رجل
واحد على صورة أدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث

أنسي / والفقر

أبي هريرة رأيت موسى فإذا رجل ضرب رجل أقنى كأنه من رجال
شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه أحمر
كأنما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وأنا أشبه
ولد إبراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى كأحسن ما أنت
راء من أدم الرجال وفي حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا إلا في ذروة من قومه ويروى في
ثروة من قومه أي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه
الدارقطني من حديث قتادة عن أنس ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه
حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا وفي حديث
هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك
الرسل تبعث في أنساب قومها وقال تعالى في أيوب إنا وجدناه صابرا
نعم العبد إنه أواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى
قوله ويوم يبعث حيا وقال إن الله يبشرك بيحيى إلى الصالحين
وقال تعالى إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران
الآيتين وقال في نوح إنه كان عبدا شكورا وقال إن الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح إلى الصالحين وقال تعالى إني عبد الله
آتاني الكتاب إلى ما دمت حيا وقال يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا

كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية قال النبي صلى الله عليه
وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء الحديث
وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الآية وقال في وصف
جماعة منهم إني لكم رسول أمين وقال إن خير من استأجرت القوي الأمين
وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا
له إسحق ويعقوب كلا هدينا إلى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم بأوصاف
جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه
بغلام عليم وحليم ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول
كريم إلى أمين وقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين وقال
في إسمعيل إنه كان صادق الوعد الآيتين وقال في موسى إنه كان
مخلصا وفي سليمن نعم العبد إنه أواب وقال واذكر عبادنا
إبرهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إلى الأخيار وفي
داود إنه أواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب
وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وفي
موسى ستجدني إن شاء الله صابرا وقال وما أريد أن أخالفكم إلى
ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وقال ولوطا
آتيناه حكما وعلما وقال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية

وقال

وقال سفيان هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم
ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الأحاديث كثير
كقوله عليه الصلوة والسلام إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم
ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي
حديث أنس وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وأن سليمن عليه
السلام كان مع ما أعطي من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا
وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز
الشعير وأوحي إليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت
العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في
حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وأنت على خزائن الأرض
قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع وروى أبو هريرة عنه صلى
الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه
تسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج ولا يأكل إلا من عمل
يده قال الله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في
السرد وكان سأل ربه أن يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله
قال عليه الصلوة والسلام أحب الصلوة إلى الله صلوة داود وأحب
الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه

وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش
الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع
ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره نحو السماء حياء من ربه
ولم يزل باكيا حياته كلها ۵ وقيل بكى حتى نبت العشب من
دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده أخدودا وقيل كان يخرج متنكرا
يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى
عليه السلام لو اتخذت حمارا قال أنا أكرم على الله أن يشغلني بحمار
وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت أينما أدركه
النوم نام وكان أحب الأسامي إليه أن يقال له مسكين
وقيل إن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة
البقل في بطنه من الهزال ۵ وقال صلى الله عليه وسلم لقد كان
الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر والقمل وكان ذلك أحب إليهم
من العطاء إليكم ۵ وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب
بسلام فقيل له في ذلك فقال أكره أن أعود لساني النطق بسوء ۵
وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله
حتى اتخذت الدموع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا
يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ابن منبه أن موسى عليه

السلام كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها إذا أراد
أن يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما أكرمه به من كلامه وأخبارهم
في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الأخلاق وحسن
الصورة والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت إلى ما
تجده في بعض كتب جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا ۵
فصل قد أتيناك أكرمك الله من ذكر الأخلاق الحميدة
والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة وأريناك صحتها له
صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والأمر أوسع
فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون
نفاده الأدلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا
أتينا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات
واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا أن نختم
هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن أبي هالة لجمعه من شمائله
وأوصافه كثيرا وإدماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله
بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي أبو الحسين
بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة نا عبد
الله بن طاهر التميمي قرأت عليه أخبركم الفقيه الأديب

الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد

أبو بكر محمد بن الحسن المهري والقاضي أبو الحسن علي بن جعفر
الوخشي قالوا نا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد الخزاعي قال نا أبو
سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن
سورة الحافظ قال نا سفيان بن وكيع نا جميع بن عمر بن عبد الرحمن
العجلي إملاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة
زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها يكنى أبا عبد الله عن
ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال
سألت خالي هند بن أبي هالة قال القاضي أبو علي رحمه الله
وقرأت على الشيخ أبي طاهر رحمه الله أحمد بن الحسن بن أحمد بن
خذاذاذ الكرجي الباقلاني قال وأجاز لنا الشيخ أبو الفضل أحمد بن
خيرون قالا أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن
بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقر به
قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله
بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن
أخي طاهر العلوي قال نا إسمعيل بن محمد بن إسحق بن جعفر بن محمد
بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال حدثني علي بن جعفر
بن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد

عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ
لهذا السند سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان وصافا وأنا أرجو أن يصف لي شيئا أتعلق به
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب
عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا
يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين
أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب
أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية
أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق
المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل
الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد
ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين
اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك أشعر
الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة
شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف أو قال سائن الأطراف
أو سائر الأطراف سبط العصب خمصان الأخمصين مسيح القدمين

ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية
إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا خافض
الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة
يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان
دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت
يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا
لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة
وإن دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام
لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا
ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث
اتصل بها وضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب
أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن
مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم
حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال
الحسين سألت أبي عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان إذا أوى منزله
جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ
جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم
شيئا فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه
وقسمه على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة وذو الحاجتين
ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة
من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد
منكم الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنه
من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم
القيامة لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره وقال
في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون إلا عن
ذواق ويخرجون أدلة يعني فقهاء قلت فأخبرني عن مخرجه
كيف يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل
قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي
عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس
ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهيه معتدل الأمر غير

مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا
يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم
عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة
فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن
الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث
ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا
يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده
إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار
لهم أبا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى
وفي الرواية الأخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم
وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم
ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون
فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير
ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله
عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش
ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه
من ثلاث الرياء والإكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا
يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه
إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا
لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ
حديثهم حديث أولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون
منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول إذا رأيتم صاحب
الحاجة يطلبها فأرفدوه ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ ولا يقطع على
أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام هنا انتهى حديث
سفيان بن وكيع وزاد الآخر **قلت كيف كان سكوته**
صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على أربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر **فأما تقديره** ففي تسوية النظر والاستماع بين
الناس **وأما تفكره** ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم
في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر أربع أخذه
بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي بما أصلح
أمته والقيام لهم بما جمع لهم من الدنيا والآخرة انتهى الوصف

بحمد الله تعالى وعونه

فصل في تفسير غريب هذا الحديث

ومشكله قوله المشذب أي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله
في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كأنه مشط
فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس أراد إن
انفرقت من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة ويروى عقيصته
وأزهر اللون نيره وقيل أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أي
زينتها وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض الأمهق ولا
بالآدم والأمهق هو الناصع البياض والآدم الأسمر اللون ومثله
في الحديث الآخر أبيض مشرب أي فيه حمرة والحاجب الأزج المقوس
الطويل الوافر الشعر والأقنى السائل الأنف المرتفع وسطه والأشم
الطويل قصبة الأنف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج
ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن والأدعج الشديد سواد
الحدقة وفي الحديث الآخر أشكل العين وأشجر العين وهو
الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الأسنان
وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب والفلج
فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة
بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل

قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم أي ليس بمسترخي
اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر أي مستويهما
ومشيح الصدر إن صحت هذه اللفظة فتكون من الإقبال وهو أحد
معاني أشاح أي أنه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره
قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر أي
ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين
وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الأخرى وحكاه ابن دريد
والكراديس رؤوس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل
المشاش والكتد والمشاش رؤوس المناكب والكتد مجتمع الكتفين
وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين
وسائل الأطراف أي طويل الأصابع وذكر ابن الأنباري أنه روي
سائن الأطراف أو قال سائل بالنون وهما بمعنى تبدل اللام
من النون إن صحت الرواية بها وأما على الرواية الأخرى وسائل
الأطراف فإشارة إلى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث
ورحب الراحة أي واسعها وقيل كني به عن سعة العطاء
والجود وخمصان الأخمصين أي متجافي أخمص القدم وهو الموضع
الذي لا تناله الأرض من وسط القدم ومسيح القدمين أي

أملسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث أبي هريرة خلاف
هذا قال فيه إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى
قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم أي لم يكن له
أخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا أيضا يخالف قوله شثن القدمين
والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل إلى سنن المشي أو قصده
والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو أي أن مشيه كان
يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد
سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط
من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه أي لسعة فمه والعرب
تمادح بهذا وتذم بصغر الفم وأشاح مال وانقبض وحب الغمام
البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة أي جعل من جزء نفسه
ما يوصل الخاصة إليه فيوصل عنه العامة وقيل يجعل منه للخاصة
ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا أي محتاجين إليه
وطالبين لما عنده ولا يتفرقون إلا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه
ويشبه أن يكون على ظاهره أي في الغالب والأكثر والعتاد
العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن
الأماكن أي لا يتخذ للصلاة موضعا معلوما وقد ورد نهيه

للقلوب

عن هذا مقتصرًا في غير هذا الحديث وصابره أي حبس نفسه على ما يريد
صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم أي لا تذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته أي
تحدث بها أي لم تكن فيه فلتة وإن كانت من أحد سترت ويرفدون
يعينون والصخاب الكثير الصياح وقوله لا يقبل الثناء إلا من
مكافئ مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل إلا من مسلم وقيل إلا من مكافئ
على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم ويستفزه يستخفه وفي حديث
آخر في وصفه منهوس العقب أي قليل لحمها وأهدب الأشفار أي
طويل شعرها

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها من تعظيم قدره عند ربه

ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم
لا خلاف أنه أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة
عند الله وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى واعلم أن الأحاديث
الواردة في ذلك كثيرة جدًا وقد اقتصرنا منها على صحيحها
ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلًا

الفصل الأول فيما ورد في ذكر مكانته عند ربه

والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم
وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب صلى الله عليه وسلم

أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل إذنًا بلفظه حدثنا
أبو الحسن الفرغاني حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب
عن أبيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن إسمعيل عن يحيى
الحماني ثنا قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قسم الخلق قسمين
فجعلني من خيرهم قسمًا فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال
فأنا من اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثًا
فجعلني في خيرها ثلثًا وذلك قوله أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة
والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين
ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى
وجعلناكم شعوبًا وقبائل الآية فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم
على الله ثم جعل القبائل بيوتًا فجعلني في خيرها بيتًا فذلك قوله إنما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وعن أبي سلمة
عن أبي هريرة قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال
وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الأسقع قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبرهيم
إسمعيل واصطفى من ولد إسمعيل بني كنانة واصطفى من بني

كنانة قريشًا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
ومن حديث أنس أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث
ابن عباس أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وعن عائشة عنه
عليه السلام أتاني جبريل فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها
فلم أر رجلًا أفضل من محمد ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم
وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به
فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد
أكرم على الله منه فارفض عرقًا وعن ابن عباس عنه عليه الصلوة
والسلام لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في
صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب إبرهيم ثم لم
يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني
بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط وإلى هذا أشار العباس
بن عبد المطلب رضي الله عنه بقوله فيه ٥

من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرًا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم * إذا مضى عالم بدا طبق ٥

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن عباس
وأبو هريرة وجابر بن عبد الله أنه قال أعطيت خمسًا وفي بعضها
ستًا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت
لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلوة
فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة
وأعطيت الشفاعة ٥ وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل
تعطه ٥ وفي رواية أخرى وعرض علي أمتي فلم يخف علي التابع
من المتبوع ٥ وفي رواية بعثت إلى الأحمر والأسود قيل السود
العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة فهم من السود والحمر
العجم وقيل البيض والسود من الأمم وقيل الحمر الإنس والسود الجن
وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة نصرت بالرعب وأوتيت
جوامع الكلم وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت
في يدي ٥ وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر
أنه قال عليه السلام إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله
لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني
والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن
تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه

عمرو رضي الله عنهما

وسلم قال أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي وأوتيت جوامع الكلم
وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت
بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب أنه صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت إبرهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا وأعطيت سليمن
ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله تعالى ما أعطيتك
خير من ذلك أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في
جوف السماء وجعلت الأرض طهورا لك ولأمتك وغفرت لك ما
تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفورا لك ولم
أصنع ذلك لأحد قبلك وجعلت قلوب أمتك مصاحفها وخبأت
لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك ٥ وفي حديث آخر رواه حذيفة
بشرني يعني ربه أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفا
مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب وأعطاني أن لا
تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين
يدي أمتي شهرا وطيب لي الغنائم ولأمتي المغانم وأحل لنا كثيرا
مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن أبي هريرة
عنه عليه السلام ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات

ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي فأرجو
أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء
معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها
إلا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا
خبرا إلى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول
فيه في هذا وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي
رضي الله عنه كل نبي أعطي سبعة نجباء من أمته وأعطي نبيكم صلى
الله عليه وسلم أربعة عشر نجيبا منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود
وعمار وقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حبس عن مكة
الفيل وسلط عليهم رسوله والمؤمنين وإنها لا تحل لأحد بعدي وإنما
أحلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إني عبد الله وخاتم النبيين وإن
آدم لمنجدل في طينته وعدة أبي إبرهيم وبشارة عيسى بن مريم
وعن ابن عباس قال إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على
أهل السماء وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على
أهل السماء قال إن الله تعالى قال لأهل السماء ومن يقل منهم إني
إله من دونه الآية وقال لمحمد إنا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا

فضله على الأنبياء قال إن الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
الآية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك إلا كافة وعن
خالد بن معدان أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن أبي ذر
وشداد بن أوس وأنس بن مالك فقال نعم أنا دعوة أبي إبرهيم يعني
قوله ربنا وابعث فيهم رسولا وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت
بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما
لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاثة رجال
بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني قال في غير هذا
الحديث من نحري إلى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا
منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه
قال في حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئا فإذا بخاتم في يده من نور
يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ إيمانا وحكمة ثم أعاده مكانه
وأمر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم ٥ وفي رواية أن جبريل
عليه السلام قال قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان
سميعتان ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم

ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته
فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها
قال في الحديث الآخر ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما
بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من
الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما أكرمك
على الله إن الله معك وملائكته قال في حديث أبي ذر فما هو إلا أن
وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة ٥ وحكى أبو محمد مكي
وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عند معصيته قال اللهم
بحق محمد اغفر خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من أين
عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة لا إله إلا الله
محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت أنه أكرم
خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تأويل
قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية أخرى فقال
آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله
إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك
ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه
لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى

بأبي محمد وقيل بأبي البشر وروي عن شريح بن يونس أنه قال إن
لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها أحمد أو محمد إكراماً منهم
لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي إلى السماء إذا على
العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي
وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز
لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب
عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجباً لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها
كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي وعن
ابن عباس على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد
رسول الله لا أعذب من قالها وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة
مكتوب محمد تقي مصلح وسيد أمين وذكر السمنطاري
أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولوداً ولد على أحد جنبيه مكتوب
لا إله إلا الله وعلى الآخر مكتوب محمد رسول الله وذكر
الأخباريون أن ببلاد الهند ورداً أحمر مكتوب عليه بالأبيض
لا إله إلا الله محمد رسول الله وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه إذا
كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة

لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه
وابن وهب في جامعه عن مالك قال سمعت أهل مكة يقولون
ما من بيت فيه اسم محمد إلا نمي ورزقوا وعنه عليه السلام ما ضر أحدكم
أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه أن الله نظر إلى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد
عليه السلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش أن
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم أن تؤذوا رسول
الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً الآية قام خطيباً فقال
يا معشر أهل الإيمان إن الله فضلني عليكم تفضيلاً وفضل نسائي
على نسائكم تفضيلاً الحديث

فصل

في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج به إلى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى

ومن خصائصه عليه السلام

قصة الإسراء
وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب
العزيز وشرحته صحاح الأخبار قال الله تعالى سبحان الذي
أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الآية وقال والنجم إذا هوى
إلى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين

في صحة الإسراء به عليه السلام إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح
عجائبه وخواص نبينا محمد عليه السلام فيه أحاديث كثيرة منتشرة رأينا
أن نقدم أكملها ونشير إلى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي
الشهيد أبو علي والفقيه أبو بحر سماعي عليهما والقاضي أبو عبد الله
التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا أبو العباس العذري
نا أبو العباس الرازي نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان
نا مسلم بن الحجاج نا شيبان بن فروخ نا حماد بن سلمة نا ثابت
البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت
المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت
فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح
جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم صلى الله عليه
وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية
فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد

قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى
بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم فرحبا بي ودعوا لي
بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح
لنا فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد أعطي شطر
الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة
وذكر مثله وإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله
تعالى ورفعناه مكاناً علياً ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر
مثله فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى
السماء السابعة فذكر مثله وإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى
البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك
لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان
الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما
غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها
فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة
فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة
قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك
فإني قد بلوت بني إسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي

بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا

فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط
عني خمسا فقال إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال
فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات
كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن
هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله
التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لقد رجعت
إلى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه جوّد ثابت
رحمه الله هذا الحديث عن أنس ما شاء ولم يأت أحد بأصوب من هذا
وقد خلط فيه غيره عن أنس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن
أبي نمر فقد ذكر في أوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم
وهذا إنما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه
وذلك قبل أن يوحى إليه وذكر قصة الإسراء ولا خلاف أنها
كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد إنها كانت قبل الهجرة بسنة
وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن أنس من رواية حماد بن سلمة
أيضا مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الصبيان

عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الإسراء كما رواه الناس
فجوّد في القصتين وفي أن الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سدرة المنتهى
كان قصة واحدة وأنه وصل إلى بيت المقدس ثم عرج من هناك
فأزاح كل إشكال أوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب
عن أنس قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم
ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري
ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فذكر القصة وروى
قتادة الحديث بمثله عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم
وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السموات
وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود وقد وقعت في حديث
الإسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث
ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ
الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا له والابن الصالح ٥ وفيه من طريق
ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام
وعن أنس ثم انطلق بي حتى أتيت سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا
أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة ٥ وفي حديث مالك بن

صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب
هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي ٥
وفي حديث أبي هريرة وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة
فأممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت
فبدأني بالسلام وفي حديث أبي هريرة ثم سار حتى أتى بيت المقدس
فنزل فربط فرسه إلى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا
يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ
وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا
على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى
وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال
وإن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى
على ربه وأنا أثني على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة
للناس أجمعين بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء
وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون
والآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فقال إبراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه

عرج به إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم وفي حديث
ابن مسعود وانتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها
ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها
فيقبض منها قال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي
رواية أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس فقيل لي هذه سدرة المنتهى
ينتهي إليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى
يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار
من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب
في ظلها سبعين عاما وإن ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها
الملائكة قال فهو قوله إذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى
له سل فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما
وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له
الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت
له الجن والإنس والشياطين والرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد
من بعده وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه
والأبرص وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما
سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة

خليلا

نبيا قبلك وأعطيتك

محمد حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون
وهم الآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك
عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأعطيتك
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم أعطها نبيا قبلك
وجعلتك فاتحا وخاتما ٥ وفي الرواية الأخرى قال فأعطي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم
سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيا من أمته المقحمات وقال
ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل في صورته له ستمائة
جناح وفي حديث شريك أنه رأى موسى في السابعة قال
بتفضيل كلام الله تعالى قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله فقال
موسى لم أظن أن يرفع علي أحد وقد روي عن أنس أنه صلى الله عليه
وسلم صلى بالأنبياء ببيت المقدس وعن أنس أنه صلى الله عليه وسلم
بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين
كتفي فقمت إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة
ثم قعدت في الأخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست
السماء وأنا أقلب طرفي ونظرت جبريل كأنه حلس لاطئ فعرفت فضل
علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورأيت النور الأعظم ولط دوني الحجاب

المقحمات الذنوب العظام التي تقحم صاحبها في النار

علا به

قال رسول

حلس لاطئا

وفرجه الدر والياقوت ثم أوحى الله ما شاء أن يوحي من الأمر بخطه من
غير الرواية وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
لما أراد الله تعالى أن يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها
البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه
السلام اسكني فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى
الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى
فبينا هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق إني لأقرب
الخلق مكانا وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي
هذه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق
عبدي أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقيل
من وراء الحجاب صدق عبدي أنا لا إله إلا أنا وذكر مثل هذا
في بقية الأذان إلا أنه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي
على الفلاح وقال ثم أخذ الملك بيد محمد فقدمه فأم أهل السماء
فيهم آدم ونوح قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه
أكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات
والأرض ٥ قال القاضي رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر

السموات والأرض

الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والبارئ جل
اسمه منزه عما يحجبه إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس ولكن
حجبه على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء ومتى شاء كقوله
كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب
وإذ خرج ملك من الحجاب يجب أن يقال إنه حجاب حجب به
من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه
وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث
قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورائه إن هذا الملك ما رأيته
منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل أن هذا الحجاب لم يختص بالذات
ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال إليها ينتهي علم
الملائكة وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم ٥ وأما قوله
الذي يلي الرحمن فيحتمل على حذف المضاف أي الذي يلي عرش الرحمن
أو أمرا ما من عظيم آياته أو مبادي حقائق معارفه مما هو أعلم
به كما قال تعالى واسأل القرية أي أهلها وقوله فقيل من وراء
الحجاب صدق أنا أكبر فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام
الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان لبشر أن يكلمه الله
إلا وحيا أو من وراء حجاب أي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته

وكيف شاء

فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل أنه في غير
هذا الموطن بعد هذا أو قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله أعلم

فصل في اختلاف السلف والعلماء

هل كان إسراؤه بروحه أو جسده على ثلاث مقالات فذهبت
طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم أن رؤيا
الأنبياء حق ووحي وإلى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن
والمشهور عنه خلافه وإليه أشار محمد بن إسحق وحجتهم قوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا التي أريناك وما حكوا عن عائشة ما فقدت جسد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا أنا نائم وقول أنس
وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت
وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه
إسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس
وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة
وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير
وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم
ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة
وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول

فقد

وهو

وهذا

أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة
كان الإسرا بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السما بالروح واحتجوا
بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى فجعل إلى المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي وقع التعجب فيه
بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد به وإظهار الكرامة له بالإسراء
إليه وقال هؤلاء ولو كان الإسرا بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى
لذكره فيكون أبلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى
ببيت المقدس أم لا ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلوته فيه
وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر
البراق حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح
أنه إسرا بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية
وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة
إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في الإسرا بجسده في حال
يقظته استحالة إذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده
وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية
ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه ولا ارتد به
ضعفاء من أسلم وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر

بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه
وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء
ببيت المقدس في رواية أنس أو في السما على ما روى غيره ٥
وذكر مجي جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السما فيقال
ومن معك فيقول محمد ولقائه الأنبيا فيها وخبرهم معه وترحيبهم
به وشأنه في فرض الصلوة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض
هذه الأخبار فأخذ بيدي جبريل فعرج بي إلى السما إلى قوله
ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وأنه
وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره
قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم
لا رؤيا منام ٥ وعن الحسن فيه بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل
فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك
ثلاثا فقال في الثالثة فأخذ بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا
بدابة وذكر خبر البراق وعن أم هانئ ما أسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشا
الآخرة ونام فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم

إلى

العشا الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت
فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بين في أنه
بجسمه وعن أبي بكر من رواية شداد بن أوس عنه أنه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله
البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل حمله إلى المسجد
الأقصى وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة
فإذا بملك قائم معه آنية ثلث وذكر الحديث وهذه النصوص
ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن أبي ذر عنه صلى
الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فشرح
صدري ثم غسله بماء زمزم فشرح عن صدري وعن أبي هريرة
لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء
لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله فرفعه الله لي أنظر
إليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في حديث الإسرا عنه عليه السلام أنه قال ثم جئت
إلى خديجة وما تحولت عن جانبها **فصل في إبطال
حجج من قال إنها نوم** احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا

الرؤ

الرؤيا التي أريناك فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي أسرى بعبده يرده
لأنه لا يقال في النوم أسرى وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين
وإسرا بشخص إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به أحد لأن كل
أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في أقطار
متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم
إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك
وقيل غير هذا وأما قولهم إنه قد سماها في الحديث مناما وقوله
في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله أيضا وهو نائم وقوله
ثم استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك
إليه كان وهو نائم أو أول حمله والإسرا به وهو نائم وليس في الحديث
أنه كان نائما في القصة كلها إلا ما يدل عليه ثم استيقظت وأنا
في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى أصبحت واستيقظ
من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول
ليله وإنما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وأنا في المسجد
الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السماوات والأرض
وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الأعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى
فلم يستفق ولم يرجع إلى حاله البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام وجه

ثالث أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه أسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض أصحاب الإشارات إلى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا أن يكون في وقت صلاته بالأنبياء ولعله كانت له في هذا الإسراء حالات ووجه رابع وهو أن يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا أنا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم إلى أن هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث إنما هي من رواية شريك عن أنس فهي منكرة من روايته إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره عليه السلام وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث قبل أن يبعث والإسراء بإجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية أنس مع أن أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك

بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان أبو ذر يحدث وأما قول عائشة ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الإسراء متى كان فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف فكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام وقد قيل كان الإسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والأشبه أنه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا لم تشاهد ذلك عائشة دل أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث أم هانئ وغيره وأيضا فليس حديث عائشة بالثابت والأحاديث الأخر أثبت لسنا نعني حديث أم هانئ وما ذكرت فيه خديجة وأيضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها إنه بجسده لإنكارها أن تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فإن قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما

رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على أنه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد أضاف الأمر للبصر وقد قال أهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى أي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما أنكر قلبه ما رأته عينه

فصل وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعلا

فاختلف السلف فيها فأنكرته عائشة حدثنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا نا القاضي يونس بن مغيث نا أبو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي نا محمد بن آدم نا وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق أنه قال لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة أنه قال إنما رأى جبريل واختلف عنه وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في

الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس أنه رآه بعينه وروى عطاء عنه رآه بقلبه وعن أبي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق وقال إن الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى قال الماوردي قيل إن الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى أبو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن أبي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي

ولم أره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد
فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث وحكى عبد الرزاق أن الحسن
كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة
وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن إسحاق
أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى
النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس
بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد وقال أبو عمر
قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا
بالأبصار وقال سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم يره وقد
اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود
فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود
رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه
وعن ابن عطاء في قوله ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره
للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل
الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه رأى الله ببصره وعيني
رأسه وقال كل آية أوتيها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد

أوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف
بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه
أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل
على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال أن يجهل
نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا غير
مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من
علمه الله فقال له الله لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب
له مثلا بما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا
ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته
جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى
لا تدركه الأبصار لاختلاف التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي
قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية
نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل
لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه الأبصار لا تحيط
به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه

المفسرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها
وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت إليك لما قدمناه
ولأنها ليست على العموم ولأن من قال معناها لن تراني في الدنيا
إنما هو تأويل وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى
وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع
إليه سبيل وقوله تبت إليك أي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد
قال أبو بكر الهذلي في قوله لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق
أن ينظر إلي في الدنيا وأنه من نظر إلي مات ٥ وقد رأيت لبعض
السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة
لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا للآفات
والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فإذا كان في الآخرة وركبوا
تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله
قال لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان في
الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام
حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف
القدرة فإذا قوى الله من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية

لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام
ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية منحاها لإدراك ما أدركاه ورؤية
ما رأياه والله أعلم ٥ وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته
عن الآيتين ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا
وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له واستنبط
ذلك والله أعلم من قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه
فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول ٥ وقال جعفر
محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا إفاقة وقوله
هذا يدل على أن موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل أنه
رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له إذ جعله
دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص بالمنع وأما
وجوبه لنبينا والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص
إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما
ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث أبي ذر في

تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن
وحديث أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور أنى أراه
وحكى بعض شيوخنا أنه روي نوراني أراه وفي حديثه
الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على
صحة الرؤية فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله وإنما
رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى وإلى هذا يرجع قوله نور
أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في
الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن
رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الإدراك
الذي في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث
نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه
ولا مانع قطعي يرده والله تعالى الموفق **فصل** وأما ما
ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه
معه بقوله فأوحى إلى عبده ما أوحى إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر
المفسرين على أن الموحي الله تعالى إلى جبريل وجبريل إلى محمد إلا شذوذا
منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال أوحى إليه بلا
واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين أن محمدا

كلم ربه في الإسراء وحكي عن الأشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس
وأنكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عليه
السلام في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي
حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا في هذه بقوله تعالى وما كان
لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي
بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى
وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا صلى الله
عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام
إلا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا ما يلقيه في قلب
النبي دون واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في حديث
الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله
الآية فذكر فيه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لي
من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر
كلمات الأذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين
في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي أول فصل من الباب منه وكلام
الله تعالى لمحمد ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع

قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كائن
حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة
ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه
ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف
الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد سماع الكلام فسبحان
من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات **فصل**
وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله
دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر المفسرين
أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام أو مختص
بأحدهما من الآخر أو من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس
هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في
القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو الرب تعالى دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى إليه
أمره وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه
وسلم فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته
قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال

فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات وسمعت كلام ربي وعن
أنس في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب
العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما شاء
وأوحى إليه خمسين صلاة وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن كعب
هو محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد
أدناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر والدنو من الله
لا حد له ومن العباد بالحدود وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو
ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من
المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك
والارتياب قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم أن ما وقع
من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا
قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو
النبي من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته
وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى
له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله
ينزل ربنا إلى سماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال
وقبول وإحسان قال الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا

صلى الله عليه وسلم

جعل ثم مسافة بل كلما دنى بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك
حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين أو أدنى فمن جعل
الضمير عائدا إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية
القرب ولطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة
محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء المطالب
وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتأول فيه ما
يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني
يمشي أتيته هرولة أي قربه بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان
وتعجيل المأمول **فصل** في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص
الكرامة حدثنا القاضي أبو علي ثنا أبو الفضل وأبو الحسين
قالا ثنا أبو يعلى ثنا السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا
الحسين بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع
بن أنس عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا
أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا
مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا
فخر ٥ وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن أنس في لفظ هذا الحديث
أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم

إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الكرم بيدي
وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ
مكنون وعن أبي هريرة وأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن
يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن
أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم
يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا
تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وعن أبي هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيمة
وأول من تنشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع وعن ابن
عباس أنا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وأنا أول شافع وأول
مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي
فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وعن
أنس أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا وعن
أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيمة وتدرون
لم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة ٥
وعن أبي هريرة أنه عليه السلام قال أطمع أن أكون أعظم الأنبياء
أجرا يوم القيمة ٥ وفي حديث آخر أما ترضون أن أكون أعظم الأنبياء

فليح ثنا أبو النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر
وفي حديث آخر وإن صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنى منهم
سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا أن الله اتخذ
من خلقه خليلا وموسى كلمه الله تكليما وقال آخر ماذا بأعجب من
كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه
وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم
وعجبكم أن الله اتخذ إبراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله
وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم
اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر
وأنا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وأنا أول شافع وأول
مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها
ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين
ولا فخر وفي حديث أبي هريرة في قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم إني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة أنت حبيب الرحمن

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة
وأصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع إلى الله الذي ليس في انقطاعه
إليه ومحبته إياه اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول
غير واحد وقال بعضهم أصل الخلة الاستصفاء وسمي إبراهيم
خليل الله لأنه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله
إماما لمن بعده وقيل الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ
من الخلة وهي الحاجة فسمي بها إبراهيم لأنه قصر حاجته على ربه
وانقطع إليه بهمه ولم يجعله قبل غيره إذ جاءه جبريل وهو في
المنجنيق ليرمى به في النار فقال ألك حاجة قال أما إليك فلا
وقال أبو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص
بتخلل الأسرار وقال بعضهم أصل الخلة المحبة ومعناها
الإسعاف والإلطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في
كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب أن لا يؤاخذ بذنوبه قال
هذا والخلة أقوى من البنوة لأن البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال
تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ولا يصح أن تكون عداوة
مع خلة فإذا تسمية إبراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة إما بانقطا

إلى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والإضراب
عن الوسائط والأسباب أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وتحقق
ألطافه عندهما وما خالط بواطنهما من أسرار الإلهية ومكنون
غيوبه ومعرفته أو لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عن سواه
حتى لم تخالطهما محبة لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا تتسع
قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا
خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا لكن أخوة الإسلام واختلف
العلماء أرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة
فجعلهما بعضهم سواء ولا يكون الحبيب إلا خليلا ولا الخليل إلا
حبيبا لكنه خص إبرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة
الخلة أرفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا
غير ربي وقد أطلق عليه السلام المحبة لفاطمة وابنيها وأسامة وغيرهم
وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة لأن درجة الحبيب نبينا
أرفع من درجة الخليل إبرهيم وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب
ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي
درجة المخلوق فأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الأغراض فمحبته لعبده
تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب

وإفاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر
إليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فإذا أحببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي
أن يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع إلى الله والإعراض عن
غير الله وصفاء القلب لله وإخلاص الحركات لله كما قالت عائشة
كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر
بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا
فإذا ما نطقت كنت حديثي ... وإذا ما سكت كنت الغليلا

فإذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام
بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من
الأمة وكفى بقوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله الآية حكى أهل التفسير
أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار إنما يريد محمد أن نتخذه حنانا
كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله غيظا لهم ورغما على نفاقهم
هذه الآية قل أطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بأمرهم بطاعته
وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فإن تولوا فإن
الله لا يحب الكافرين وقد نقل الإمام أبو بكر بن فورك

عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة إشارته
إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي إلى ما بعده
فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك
نري إبرهيم ملكوت السموات والأرض والحبيب يصل إليه به
من قوله فكان قاب قوسين أو أدنى وقيل الخليل الذي تكون
مغفرته في حد الطمع من قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي والحبيب
الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك الآية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي
الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي
الله والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي
لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي
بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام والحبيب
قيل له إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وفيما ذكرناه
تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والأحوال
وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام

المحمود قال الله تبارك وتعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما

محمودا حدثنا الشيخ أبو علي الغساني الجياني فيما كتب به إلي بخطه نا سراج بن عبد
الله القاضي نا أبو محمد الأصيلي نا أبو زيد وأبو أحمد قالا نا محمد بن
يوسف نا محمد بن إسمعيل نا إسمعيل بن أبان نا أبو الأحوص عن
آدم بن علي سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون يوم القيمة
جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا
حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه
الله المقام المحمود وعن أبي هريرة سئل عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا
فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام
يحشر الناس يوم القيمة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة
خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام
المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي
حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده
وعن ابن مسعود عنه عليه السلام أنه قيامه عن يمين العرش مقاما
لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون ونحوه عن كعب
والحسن وفي رواية هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه وعن ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم المقام المحمود

تحسين من عرفة في جزئه هذا الحديث وقال فيه أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين وقال ضبطوا المتقين سوى حقوق والعاف مشهوره وحسن ذلك لذكر الملوثين وأما إذا لم يذكر الملوثين فيضبط بالوجهين

قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث وعن أبي موسى عنه عليه السلام خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن أبي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن أم حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله أن يوليني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس إلا بإذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله وقال ابن عباس إذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم إيمانكم فيد

عون ربهم ويضجون فيسمعهم أهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود أيضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في إخراج الجهنميين وعن أنس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيمة فيهتمون أو قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن أبي هريرة وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي

غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية أنس ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية أبي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبرهيم فإنه خليل الله فيأتون إبرهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله وفي رواية فإنه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي أصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأوتى فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيته وقعت ساجدا

وفي رواية فآتي تحت العرش فأخر ساجدا وفي رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي قال في رواية أبي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل وقال مكانه ثم أخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر مثل الأول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فأفعل ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله وقي

ومن رواية قتادة عنه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب
ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود ٥
وعن أبي بكر وعقبة بن عامر وأبي سعيد وحذيفة مثله
قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الأمانة والرحم فتقومان جنبتي
الصراط وذكر في رواية أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا
فيشفع فيضرب الصراط فيمرون أولهم كالبرق ثم كالريح والطير
وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم
سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث وفي رواية
أبي هريرة فأكون أول من يجيز وعن ابن عباس عنه عليه السلام
يوضع للأنبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه
قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد
أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون
فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي
ولا أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم إلى النار
حتى إن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك
من نقمة ومن طريق زياد النميري عن أنس أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أنا أول من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر وأنا

سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وأنا أول من يفتح
له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد
فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فأخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم
ومن رواية أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر فقد اجتمع
من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته صلى الله عليه وسلم
ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين يجتمع الناس
للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه
وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم
يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة
وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه
من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب
عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الأحاديث
الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه
وسلم ٥ وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها
واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة قال أهل العلم معناه
دعوة أعلم أنها تستجاب لهم وتبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل

وبلغ

نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد
لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة
دعوة فيما شاؤوه يدعون بها على يقين من الإجابة وقد قال محمد بن زياد
وأبو صالح عن أبي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها
في أمته فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم
القيامة ٥ وفي رواية أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل
كل نبي دعوته ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة وعن أنس
مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة
مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه
وسلم أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها
ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن
وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله خيرا عن أمته وصلى الله عليه وسلم

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة

والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليهما قالا
نا أبو علي الغساني نا النمري نا ابن عبد المؤمن نا أبو بكر التمار نا
أبو داود نا محمد بن سلمة نا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد

ابن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن
عمرو بن العاصي أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد
من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت
عليه الشفاعة ٥ وفي حديث آخر عن أبي هريرة الوسيلة أعلى درجة
في الجنة وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا
أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل
ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى
طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال
ومجراه على الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج
وفي رواية عنه فإذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد
عليه أمتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس
أيضا قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه وقال سعيد بن جبير
والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله وعن حذيفة فيما
ذكر عليه السلام عن ربه وأعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل في
حوضي وعن ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال

أَلْفُ قَصْرٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ تُرَابُهُنَّ الْمِسْكُ وَفِيهِ مَا يُصْلِحُهُنَّ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى
وَفِيهِ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْخَدَمِ **فَصْلٌ فَإِنْ قُلْتَ**
إِذَا تَقَرَّرَ مِنْ دَلِيلِ الْقُرْآنِ وَصَحِيحِ الْأَثَرِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ كَوْنُهُ أَكْرَمَ
الْبَشَرِ وَأَفْضَلَ الْأَنْبِيَاءِ فَمَا مَعْنَى الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ بِنَهْيِهِ عَنِ التَّفْضِيلِ
كَقَوْلِهِ فِيمَا حَدَّثَنَاهُ الْأَسَدِيُّ قَالَ نا السَّمَرْقَنْدِيُّ نا الْفَارِسِيُّ
نا الْجُلُودِيُّ نا ابْنُ سُفْيَانَ نا مُسْلِمٌ نا ابْنُ مُثَنَّى نا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ
نا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ
بْنِ مَتَّى وَفِي غَيْرِ هَذَا الطَّرِيقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ يَعْنِي اللَّهَ مَا يَنْبَغِي
لِعَبْدٍ الْحَدِيثَ وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْيَهُودِيِّ الَّذِي قَالَ وَالَّذِي
اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ فَلَطَمَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَالَ تَقُولُ ذَلِكَ
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَفِي رِوَايَةٍ لَا تُخَيِّرُونِي
عَلَى مُوسَى فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ
يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ **وَعَنِ** ابْنِ مَسْعُودٍ لَا يَقُولَنَّ
أَحَدُكُمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ
يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ فَاعْلَمْ أَنَّ لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ

احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه كلها مثل عمل اهل الارض ٥ من الكشاف ٥

تَأْوِيلَاتٍ **أَحَدُهَا** أَنَّ نَهْيَهُ عَنِ التَّفْضِيلِ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيِّدُ
وَلَدِ آدَمَ فَنَهَى عَنِ التَّفْضِيلِ إِذْ يَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيفٍ وَأَنَّ مَنْ فَضَّلَ بِلَا عِلْمٍ
فَقَدْ كَذَبَ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْهُ لَا يَقْتَضِي تَفْضِيلَهُ
هُوَ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الظَّاهِرِ كَفٌّ عَنِ التَّفْضِيلِ **الْوَجْهُ الثَّانِي** أَنَّهُ قَالَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طَرِيقِ التَّوَاضُعِ وَنَفْيِ التَّكَبُّرِ وَالْعُجْبِ
وَهَذَا لَا يَسْلَمُ مِنَ الِاعْتِرَاضِ **الْوَجْهُ الثَّالِثُ** أَنْ لَا يُفَضَّلَ بَيْنَهُمْ تَفْضِيلًا
يُؤَدِّي إِلَى تَنَقُّصِ بَعْضِهِمْ أَوِ الْغَضِّ مِنْهُ لَا سِيَّمَا فِي جِهَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِذْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا أَخْبَرَ لِئَلَّا يَقَعَ فِي نَفْسِ مَنْ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ بِذَلِكَ
غَضَاضَةٌ وَانْحِطَاطٌ مِنْ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ إِذْ قَالَ تَعَالَى عَنْهُ إِذْ ذَهَبَ
مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَظَنَّ أَنْ لَنْ
نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَرُبَّمَا يُخَيَّلُ لِمَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ حَطِيطَتُهُ بِذَلِكَ
الْوَجْهُ الرَّابِعُ مَنْعُ التَّفْضِيلِ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ
فِيهَا عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ إِذْ هِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَتَفَاضَلُ وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ فِي زِيَادَةِ
الْأَحْوَالِ وَالْخُصُوصِ وَالْكَرَامَاتِ وَالرُّتَبِ وَالْأَلْطَافِ ٥
وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلَا تَتَفَاضَلُ وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِأُمُورٍ أُخَرَ
زَائِدَةٍ عَلَيْهَا وَلِذَلِكَ مِنْهُمُ الرُّسُلُ وَمِنْهُمْ أُولُو عَزْمٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمِنْهُمْ
مَنْ رُفِعَ مَكَانًا عَلِيًّا وَمِنْهُمْ مَنْ أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَأُوتِيَ بَعْضُهُمُ

وَمَنْ

الزَّبُورَ وَبَعْضُهُمُ الْبَيِّنَاتِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ الْآيَةَ وَقَالَ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ الْآيَةَ **قَالَ** بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّفْضِيلُ الْمُرَادُ لَهُمْ
هُنَا فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ أَنْ تَكُونَ آيَاتُهُ وَمُعْجِزَاتُهُ أَبْهَرَ وَأَشْهَرَ
أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَزْكَى وَأَكْثَرَ أَوْ يَكُونَ فِي ذَاتِهِ أَفْضَلَ وَأَظْهَرَ وَفَضْلُهُ فِي
ذَاتِهِ رَاجِعٌ إِلَى مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ مِنْ كَلَامٍ
أَوْ خُلَّةٍ أَوْ رُؤْيَةٍ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَلْطَافِهِ وَتُحَفِ وِلَايَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ
وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ لِلنُّبُوَّةِ أَثْقَالًا
وَإِنَّ يُونُسَ تَفَسَّخَ مِنْهَا تَفَسُّخَ الرُّبَعِ فَحَفِظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَوْضِعَ الْفِتْنَةِ مِنْ أَوْهَامِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ بِسَبَبِهَا جَرْحٌ فِي نُبُوَّتِهِ
أَوْ قَدْحٌ فِي اصْطِفَائِهِ وَحَطٌّ مِنْ رُتْبَتِهِ وَوَهْنٌ فِي عِصْمَتِهِ شَفَقَةً
مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ وَقَدْ يَتَوَجَّهُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ
وَجْهٌ خَامِسٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَنَا رَاجِعًا إِلَى الْقَائِلِ نَفْسِهِ أَيْ لَا يَظُنُّ أَحَدٌ
وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الزَّكَاءِ وَالْعِصْمَةِ وَالطَّهَارَةِ مَا بَلَغَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ لِأَجْلِ
مَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّ دَرَجَةَ النُّبُوَّةِ أَفْضَلُ وَأَعْلَى وَإِنَّ تِلْكَ الْأَقْدَارَ
لَمْ تَحُطَّهُ عَنْهَا حَبَّةَ خَرْدَلٍ وَلَا أَدْنَى وَسَنَزِيدُ فِي الْقِسْمِ الثَّالِثِ
فِي هَذَا بَيَانًا فَقَدْ بَانَ لَكَ الْغَرَضُ وَسَقَطَ بِمَا حَرَّرْنَاهُ شُبْهَةُ الْمُعْتَرِضِ

إن شاء الله تعالى

فَصْلٌ فِي أَسْمَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ فَضِيلَتِهِ **حَدَّثَنَا** أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ أَبِي تَلِيدٍ الْفَقِيهُ
نا أَبُو عُمَرَ الْحَافِظُ **نا** سَعِيدُ بْنُ نَصْرٍ **نا** قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ **نا** مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ
نا يَحْيَى **نا** مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا
الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى
قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ فَمِنْ خَصَائِصِهِ
تَعَالَى لَهُ أَنْ ضَمَّنَ أَسْمَاءَهُ ثَنَاءَهُ وَطَوَى أَثْنَاءَ ذِكْرِهِ عَظِيمَ شُكْرِهِ فَأَمَّا اسْمُهُ
أَحْمَدُ فَأَفْعَلُ مُبَالَغَةً مِنْ صِفَةِ الْحَمْدِ وَمُحَمَّدٌ مُفَعَّلٌ مُبَالَغَةً مِنْ كَثْرَةِ
الْحَمْدِ فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَلُّ مَنْ حَمِدَ وَأَفْضَلُ مَنْ حُمِدَ وَأَكْثَرُ
النَّاسِ حَمْدًا فَهُوَ أَحْمَدُ الْمَحْمُودِينَ وَأَحْمَدُ الْحَامِدِينَ وَمَعَهُ لِوَاءُ الْحَمْدِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَتِمَّ لَهُ كَمَالُ الْحَمْدِ وَيَشْتَهِرَ فِي تِلْكَ الْعَرَصَاتِ بِصِفَةِ
الْحَمْدِ وَيَبْعَثُهُ رَبُّهُ هُنَاكَ مَقَامًا مَحْمُودًا كَمَا وَعَدَهُ يَحْمَدُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ
وَالْآخِرُونَ بِشَفَاعَتِهِ لَهُمْ وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ فِيهِ مِنَ الْمَحَامِدِ كَمَا قَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا لَمْ يُعْطَ غَيْرُهُ وَسَمَّى أُمَّتَهُ فِي كُتُبِ أَنْبِيَائِهِ بِالْحَمَّادِينَ
فَحَقِيقٌ أَنْ يُسَمَّى مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ ثُمَّ فِي هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ مِنْ عَجَائِبِ
خَصَائِصِهِ وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ فَنٌّ آخَرُ هُوَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ حَمَى أَنْ يُسَمَّى بِهِمَا

أحد قبل زمانه أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله
تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل
لبس على ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد
من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده
أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك
رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن
أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن براء
البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي
ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال إن أول من سمي محمدا
سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الأزد ثم حمى الله كل من تسمى
به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا
في أمره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما
وأما قوله وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث
ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض
ووعد أنه يبلغه ملك أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة
كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقوله وأنا الحاشر الذي يحشر
الناس على قدمي أي على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي كما

في الحديث أنه الذي محيت به سيئات من اتبعه [illegible]

أنه يحول بي والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه **وعن** الحكم
بن أبي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه
سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا فما
أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا
حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه **وعن** عمر
تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة فهل ترى لهم
من باقية فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين
فكانت من مقدمات إسلام عمر ه ومنه العبرة المشهورة والكفاية
التامة عندما أخافته قريش وأجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم
من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم وذر
التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في
الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه
حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أربكم فيه وعليه
من نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد ووقفت حمامتان
على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت هناك
الحمام ه وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد

جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل فأنذر به فركب فرسه واتبعه
حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم
فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى
إذا سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر
يلتفت فقال للنبي صلى الله عليه وسلم أتينا فقال لا تحزن إن الله
معنا فساخت ثانية إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها
مثل الدخان فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم
أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي
صلى الله عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس
كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع
في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ه وفي خبر آخر أن راعيا
عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه
فما يدري ما يصنع وأنسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه وجاءه فيما
ذكر ابن إسحاق وغيره أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون إليه
ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه وأقبل يرجع
القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه ه
وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه

عن شأنه فذكر أنه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن
يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لأخذه ه
وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه
وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع
قوله فرجع إلى أصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر أن في هاتين القصتين
نزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الآيتين ه ومن ذلك ما ذكر
ابن إسحاق في قصته إذ خرج إلى بني قريظة في أصحابه فجلس إلى جدار
بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحا فقام
النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقيل
إن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم
قوم في هذه القصة نزلت **وحكى السمرقندي** أنه خرج إلى بني
النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو بن أمية فقال له
حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر حيي معهم
على قتله فأعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه
يريد حاجة حتى دخل المدينة **وذكر** أهل التفسير الحديث عن أبي
هريرة أن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما

على النبي صلى الله عليه وسلم أعلمه فأقبل فلما قرب منه ولّى هاربًا ناكصًا
على عقبيه متقيًا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق
مملوء نارًا كدت أهوي فيه وأبصرت هولًا عظيمًا وخفق أجنحة قد
ملأت الأرض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوًا
عضوًا ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان
ليطغى أن رآه استغنى إلى آخر السورة ويروى أن شيبة بن عثمان
الحجبي أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك
ثأري من محمد فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه
عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق
فوليت هاربًا وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده
على صدري وهو أبغض الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي
وعن فضالة بن عمرو أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح
وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال
ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع
يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئًا
أحب إلي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن
قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا

أشغل

أشغل عنك وجهه فاضربه أنت فلم يره فعل شيئًا فلما كلمه في ذلك قال
له والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه أفأضربك ومن
عصمته له تعالى أن كثيرًا من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه
لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى
بلغ أمره ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر كما قال
عليه السلام **فصل ومن معجزاته الباهرة** ما جمعه الله له
من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا
والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده
ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة
والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم
ووعي سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم
واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة
كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم
بأسرارها ومخبآت علومها وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه
إلى الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها والإحاطة بضروب
فصاحتها والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص
بجوامع كلمها إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب

لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا
تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد
الآداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئًا
إلا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما
يدعو إليه صوّبه واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه ثم ما أحل
لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به أنفسهم
وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلًا والتخويف
بالنار آجلًا مما لا يعلم ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس
والعكوف وثني المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب
والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى
الله عليه وسلم فيها قدوة وأصولًا في علمهم كقوله عليه السلام
الرؤيا لأول عابر وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا
حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان
وقوله إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب
وقوله أصل كل داء البردة وما روي عنه في حديث أبي هريرة
من قوله المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة وإن كان
هذا حديثًا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعًا تكلم الدارقطني وقوله

خير

خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم
سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة
أشفية وقوله ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطن إلى قوله فإن كان
لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل
عن سبأ أرجل هو أو امرأة أو أرض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم
ستة وتشاءم منهم أربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة
وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب إلى سؤاله عما
اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها
وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها
وقوله إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض
وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله في حديث الذكر وإن الحسنة
بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان
وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق
والمغرب قبلة وقوله لعيينة أو للأقرع أنا أفرس بالخيل منك وقوله
لكاتبه ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للممل هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم
كان لا يكتب ولكنه أوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته
حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم

رواه

رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى
عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له ألق الدواة
وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد
الرحمن وجود الرحيم وهذا وإن لم تصح الرواية أنه عليه السلام كتب فلا
يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة وأما علمه عليه السلام
بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها فأمر مشهور قد نبهنا على بعضه
في أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم كقوله
في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو
القتل بها وقوله في حديث أبي هريرة أشكنب دردم أي وجع البطن
بالفارسية إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من
مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة أهلها عمره وهو رجل كما
قال الله أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا
نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف هو قبل بشيء
منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك الآية إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها
والشعر والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال
بطلبه ومباحثة أهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم

ولا سبيل

صلى الله عليه وسلم
تصحيح الرواية
بالفارسية
ولا عرف هو قبل بشيء

ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع
ما قصصناه إلا قولهم أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر فرد الله قولهم
بقوله لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه
مكابرة العيان فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي
وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد
من الآيات وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم
واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده
عند المروة وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا
عن معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه
ونظمه فكيف بأعجمي ألكن نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش
أو جبر أو يسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونه مدى أعمارهم
فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد عليه السلام وهل
عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة
عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ عنه أيضا ما
يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث
بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا
كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب فيقال إنه استمد منهم

نصصناه
إنما هو
وقد
يكلمونهم
عنه
شيعته

بل لم يزل بين أظهرهم رعايا في صغره وشبابه على عادة أبنائهم ثم لم يخرج عن
بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيها مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل
فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه عشيرته لم يغب
عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف إلى حبر أو قس
أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى به في
معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل أمر

فصل ومن خصائصه عليه السلام

وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله له
بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم قال الله
تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وقال إذ
يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال إذ
تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم الآيتين وقال وإذ صرفنا إليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفين بن العاص الفقيه
سماعا عليه نا أبو الليث السمرقندي نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد
الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا عبيد الله بن معاذ نا أبي نا
شعبة عن سليمن الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى
من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح

بلادهم
شبهة
صلى الله عليه وسلم
وصالح المؤمنين الآية

والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهم من الملائكة وما شاهده
من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم بحضرته
جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما
عنده جبريل في صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل
وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع
بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار
ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا
بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة
تصافح عمران بن الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل
في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن
وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن مصعب
بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب
فعلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب
أنه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده
عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من أنت
فقال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده

الزط جنس من السودان
أنا جان

في حديث له طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علّمه سورًا من القرآن
وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له
ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له تلك العزى وقوله عليه السلام إن شيطانًا تفلّت البارحة ليقطع
عليّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان
رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي الآية فردّه الله خاسئًا
وهذا باب واسع

فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن

الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته
وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد في ذلك من أشعار الموحّدين
المتقدمين من شعر تبّع والأوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان
بن مجاشع وقسّ بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم
وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان
الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره
وما ألفي من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبيّنوه ونقله
عنهما ثقات ممن أسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية وابن يامين

ومخيريق

ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة
وأسقف الشام وضغاطر وصاحب بصرى والجارود وسلمان وتميم
الداري والنجاشي ونصارى الحبشة وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم
من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى
ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن أخطب
وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء يهود ممن حمله
الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر
وقد قرّع أسماع يهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة
أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمّهم بتحريف
ذلك وكتمانه وليّهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم إلى المباهلة على الكاذب
فما منهم إلا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجدوا
خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال
وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن
كنتم صادقين إلى ما أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح
وسواد بن قارب وخنافر وأفعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن
خلصة الدوسي وسعدى بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا
يُعدّ كثرة إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته وحلول وقت رسالته

وسمع من هواتف الجن ومن ذبائح النصب وأجواف الصور وما وجد من
اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبًا في
الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم
بسبب ذلك معلوم مذكور

فصل ومن ذلك ما

ظهر من الآيات عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب
وكونه رافعًا رأسه عندما وضعته شاخصًا ببصره إلى السماء وما رأته
من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي
العاص من تدلّي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور
وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يديّ
واستهلّ سمعت قائلًا يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق
والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم وما تعرّفت حليمة وزوجها
ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة
شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج
إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس
وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله
وهو صغير شبعوا ورووا فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا ولم
يرووا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثًا ويصبح صلى الله عليه

وسلم

وسلم صقيلًا دهينًا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين
ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة عن أمور
الجاهلية وما خصّه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور
عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرّى
فسقط إلى الأرض حتى ردّ إزاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال إني نهيت
عن التعري ومن ذلك إظلال الله تعالى له بالغمام في سفره وفي رواية
أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك
لميسرة فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره ومن ذلك
أنه نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها
وأينعت هي فأشرقت وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه وميل فيء
الشجرة إليه في الخبر الآخر حتى أظلته وما ذكر من أنه كان لا ظل لشخصه
في شمس ولا قمر لأنه كان نورًا وأن الذباب كان لا يقع على جسده
ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه ثم إعلامه
بموته ودنو أجله وأن قبره بالمدينة وفي بيته وأن بين بيته ومنبره
روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه
حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده
على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن

على عنزٍ قبله وندائهم الذي سمعوه أن لا تنزعوا القميص عنه عند غسله
وما روي من تعزية الخضر والملائكة أهل بيته عند موته إلى ما ظهر على
أصحابه من كرامته وبركته في حياته ومماته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك هو العباس
غير واحد بذريته **فصل قال القاضي أبو الفضل**
رحمه الله قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية
وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين أكثر مما ذكرنا
الغرض وفص المقصد ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما صح
واشتهر إلا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد
في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون ديوانا
جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم
أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يوت
نبي معجزة إلا وعند نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على صلى الله عليه وسلم
ذلك فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من
الأنبياء تقف على ذلك إن شاء الله تعالى وأما كونها كثيرة فهذا
القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين القرآن كله
سورة إنا أعطيناك الكوثر أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن

كل آية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة
منه معجزة وإن كانت من كلمة أو كلمتين والحق ما ذكرناه أولا لقوله
تعالى فأتوا بسورة مثله فهو أقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر
وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات
نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات
إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن على نسبة عدد إنا أعطيناك فيتجزأ
الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم
إعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء
من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه
إعجاز أخر من الإخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة فتضاعف
من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف
العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها توجب
التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي
الحصر براهينه ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه
عليه السلام في هذه الأبواب وعما دل على أمره مما أشرنا إلى جمله
يبلغ نحوا من هذا **الوجه الثاني** وضوح معجزاته صلى الله عليه
وسلم فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب

الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية
أهله السحر بعث إليهم موسى عليه السلام بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه
منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكذلك
عيسى عليه السلام أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا
يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت وإبراء الأكمه الموتى
والأبرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء
صلى الله عليهم وسلم ثم إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة
معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة
فأنزل عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة الله تعالى
والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب
والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا
علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الإخبار عن الكوائن
والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف
المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كان أعدى العدو فأبطل
الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من أصلها برجم
الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء
الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن

بعضه

بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة الباقية
لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن
ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على
من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب على هذا
السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على
ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان
وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين
منها إلى علم اليقين وإن كان كل عندها حقا وسائر معجزات
الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا ومعجزات
صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل
ولهذا أشار عليه السلام بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد أبو علي صلى الله عليه وسلم
نا القاضي أبو الوليد نا أبو ذر نا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم
قالوا نا الفربري نا البخاري نا عبد العزيز بن عبد الله نا الليث عن
سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من
الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان
الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم

القمة هذا معنا الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله
وذهب غير واحد من العلما في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا
عليه السلام إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيًا وكلامًا لا يمكن
التخيل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فإن غيرها من معجزات الرسل
قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخيل بها على الضعفاء كإلقاء
السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه
والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا
الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب
أن يكون شاعرًا أو خطيبًا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل
الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني ما يغض عليه الجفن ويغضى

وجه ثالث على مذهب من قال

بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها أو على أحد
مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم
يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه
وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعًا ترك العرب الإتيان بما في
مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء
والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع والتـ

والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول
عن معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب
الإمام أبو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا أبلغ في خرق العادة
بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق
إلى بال الناظر بدارًا أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة
في ذلك الفن وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي
للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا
فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها
بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله تعالى القيام عن الناس مع
مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله
عن القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق
وقد غاب عن بعض العلماء **وجه ظهور** آيته على سائر آيات
الأنبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها
ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك
بحسب إدراكهم وغيرهم من القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا
بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون
أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا

المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم
من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه
ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى
واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها أكثرها
يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله تعالى زلفى ومنهم
من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء
لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم
لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانًا ورفضوا الدنيا
كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته
وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج
إليه لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما
يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله أستعين ۝

تم الكتاب والحمد لله الموفق للصواب
وذلك بلطف الله تعالى ومنه وكرمه ونعمه وإحسانه وجوده وامتنانه
وكان الفراغ منه ضحى يوم السبت الثاني والعشرين من شهر
رجب الأصب المكرم من سنة ست عشرين وسبعمائة
وصلى الله على سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا محمد سيد الأولين والآخرين المبعوث رحمة

آخر السفر الأول من أصل السماع ۝

جزء فيه

جزء فيه أربعون حديثًا في اصطناع المعروف للمسلمين وقضاء حوائجهم ۝

تأليف الشيخ الإمام الحافظ أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري

تغمده الله برحمته ۝

آمين

الحمد لله وحده

قال مالك قرأت في التوراة إذا استكمل العبد النفاق ملك عينيه فبكى متى شاء
وقد كانوا يستعيذون بالله من بكاء النفاق وهو أن تفتح للعبد أبواب البكاء وتغلق عنه
باب الذل والخشوع قال الله تعالى وجاؤوا أباهم عشاء يبكون وكان السلف يقولون
استعيذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما هو قال أن تبكي العين والقلب قاس فلأن يعطى العبد رقة القلب
مع جمود عين خير من أن يعطى دموع عين مع قسوة قلب ورقة القلوب عند أهل المعرفة وهو
خشوع القلب وانكساره وذله وإخباته فمن أعطاه الله هذا في قلبه لم يضره ما منعه من بكاء
عينه فإن رحم لم تفض العين فهو فضل ومن أعطاه بكاء عين وحرمه خشوع القلب وذله
وخضوعه فقد مكر به وهذا هو حقيقة المنع وحرم النفع من قوت القلوب ۝ لفظًا

غيره

يا سيدي عندك لي مأثمة ... استمسكت بي من أبي خيثمة ۝ فإنه يروي عن جده وقد روى الضحاك عن عكرمة
عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرحمة ۝ أن صدود الإلف عن إلفه فوق ثلاث ربنا حرمه
وأنت مذ شهرين لنا هاجر فالله يا مولاي لا تأثمه ۝ الأبيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة

قال الشيخ الإمام العالم المتقن الحافظ فخر المحدثين زكي
الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري ذاكرني ابن الشيخ
الإمام أبي محمد عبد الله المارديني بحديث إن لله تعالى عبادا أخلقهم لقضاء حوائج
الناس فسررت به سرورا كثيرا وأمرني أن أجمع هذا الباب ليظهر ما فيه من الثواب
مستمدا من الله معونته وخرجت أربعين حديثا في اصطناع المعروف للمسلمين
وقضاء حوائجهم والله أسأل أن يوفقنا لصالح القول والعمل ويعصمنا من
الخطأ والزلل إنه ما شاء فعل الحديث الأول عن أنس بن مالك أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله
الحديث الثاني عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله عبادا أخلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على
نفسه ألا يعذبهم بالنار فإذا كان يوم القيمة وضعت لهم منابر من نور
يحدثون الله تعالى والناس في الحساب الحديث الثالث عن ابن عمر
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله عز وجل خلقا
خلقهم لحوائج المسلمين تفزع إليهم الناس في حوائجهم أولئك الآمنون غدا من عذاب
الحديث الرابع عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قضى لأخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فإن رجح
اسمه عبد مناف
وإلا شفعت له الحديث الخامس عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب
المجاهدين في سبيل الله الحديث السادس عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان وصلة لأخيه المسلم

الى

الى ذي سلطان في منفعة بر أو تيسير عسير أعانه الله على إجازة الصراط
يوم دحض الأقدام الحديث السابع عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها
اسمه عبد الرحمن بن صخر
إلا دخل الجنة الحديث الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه
كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر على مؤمن ستر الله عورته ولا يزال
الله تعالى في عون العبد ما دام في عون أخيه الحديث التاسع
عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عظمت نعمة
الله على عبد إلا جعل حوائج الناس إليه الحديث العاشر عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لأخيه
المسلم حاجة كان كمن خدم الله عمره ومن فرج عن مؤمن كربة
جعل الله له شعلتين من نور على الصراط يستضيء بضوئهما عالم لا يحصيهم
إلا رب العزة الحديث الحادي عشر عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيها جعل
الله بينه وبين النار يوم القيمة سبع خنادق ما بين الخندق والخندق
ما بين السماء والأرض الحديث الثاني عشر عن مسلمة بن مخلد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر مسلما ستره الله عز وجل في
الدنيا والآخرة ومن فك عن مكروب فك الله عز وجل عنه كربة من كرب
يوم القيمة ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته الحديث
الثالث عشر عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله
عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرها فيهم ما بذلوها فإذا منعوها حولها

احمد

مسلم

عنهم وجعلها في غيرهم الحديث الرابع عشر عن أنس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من أضاف مسلما وخف له في شيء من حوائجه كان حقا
على الله عز وجل أن يخدمه وصيفا في الجنة الحديث الخامس عشر عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن أخيه كربة
من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر
مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله تعالى في عون العبد ما دام العبد
في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس به علما يسر الله له طريقا إلى الجنة وما
جلس قوم في مجلس يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا نزلت عليهم السكينة
وحفتهم الملائكة ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه الحديث السادس عشر
عن عمرو بن مرة وكانت له صحبة أنه قال لمعاوية إني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من إمام أو قاض يغلق بابه دون
ذوي الحاجات والخلة والمسكنة إلا أغلق الله بابه عن حاجته وخلته ومسكنته
الأشعري اسمه عبد الله بن قيس
الحديث السابع عشر عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا جاءني طالب حاجة فاشفعوا إلي تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء
الحديث الثامن عشر عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها
يصلح بها آخرته ودنياه والباقي في الدرجات الحديث التاسع عشر عن
أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب إغاثة
الملهوف الحديث العشرون عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله
يحب إغاثة اللهفان الحديث الحادي والعشرون عن جابر قال قال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم
إشباع جوعته وتنفيس كربته الحديث الثاني والعشرون عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرج عن أخيه المسلم
كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر
على أخيه المسلم ستره الله في الدنيا والآخرة والله عز وجل في عون العبد ما دام
العبد في عون أخيه الحديث الثالث والعشرون عن عبد الله بن عمر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في
حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا
فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر على مسلم ستره الله يوم القيمة
الحديث الرابع والعشرون عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة منها صلاح أمره
كله واثنان وسبعون له درجات يوم القيمة الحديث الخامس والعشرون
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال
أن تدخل على أخيك المسلم سرورا أو تقضي عنه دينا أو تطعمه خبزا الحديث
السادس والعشرون عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله ما صدقة اللسان
قال الشفاعة يفك بها الأسير ويحقن بها الدم وتجر بها المعروف إلى أخيك
وتدفع عنه الكريهة الحديث السابع والعشرون عن أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال إذا عاد المسلم أخاه أو زاره يقول الله عز وجل طبت وطاب
ممشاك وتبوأت في الجنة منزلا الحديث الثامن والعشرون عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن أخو

المومن حيث لقيه يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورايه الحديث التاسع والعشرون
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون ما
يقول الاسد في زئيره قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على احد
من اهل المعروف الحديث الثلاثون عن عمارة قال سمعت عبد الله بن
ابي بكر بن حزم يحدث عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من عاد مريضا لا يزال يخوض في الرحمة حتى اذا قعد استنقع فيها ثم اذا رجع لا يزال
يخوض فيها حتى يرجع من حيث جا الحديث الحادي والثلاثون عن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتقص حقا بلسانه جرى له اجره الله
حتى ياتي يوم القيمة فيوفيه ثوابه الحديث الثاني والثلاثون قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة الا على رحيم
قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الذي يرحم نفسه واهله خاصة
ولكن الذي يرحم المسلمين الحديث الثالث والثلاثون عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم القيمة الحديث
الرابع والثلثون عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
عن الله عز وجل انه قال انا الله قدرت الخير والشر فطوبى لمن جعلت مفاتيح
الخير على يديه وويل لمن جعلت مفاتيح الشر على يديه الحديث الخامس والثلثون
عن ابي بردة عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل المومنين
فيما بينهم كمثل البنيان يمسك بعضه بعضا او يشد بعضه بعضا الحديث السادس
والثلثون عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي ٥
الحديث السابع والثلثون عن قيس بن عباد رضي الله عنه قال سمعت عبد الله بن
ابي بكر

ابي بكر بن حزم يحدث عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
من مسلم يعزي اخاه بمصيبة الا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيمة ٥
الحديث الثامن والثلثون عن ام الدرداء قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بافضل من درجة الصايم والصلوة والصدقة قالوا بلى قال
اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة الحديث التاسع والثلثون عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم
القيمة لا يقوم احد الا احد له عند الله يد فيقول الخلايق سبحانك بل لك اليد
فيقول ذلك مرارا فيقول بلى من عفى في الدنيا بعد القدرة الحديث الاربعون
عن ابن عمر رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله اي الناس احب اليك قال انفع الناس
للناس قال فاي العمل افضل قال ادخالك السرور على المومن قيل وما سرور المومن
قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضا دينه ومن مشى مع اخيه في حاجة
كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدميه يوم
تزل الاقدام ومن كف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السيء يفسد العمل
كما يفسد الخل العسل ٥

البين م

تمت الاربعون بحمد الله تعالى
ومنه وعونه وحسن توفيقه
ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وآله خير صحب وآل صلاة دايمة ابدية سرمدية

كتاب الاربعين حديثا في فضل العلم والعلما

والمتعلم للقاضي الاجل محي الدين محمد بن سعيد بن كثير الطبري القرشي الشافعي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا حمدا يوافي نعمه
ويكافي مزيده واساله المزيد من فضله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم اما بعد
فان العلم وطلبه والاشتغال به افضل الطاعات واولى ما انفقت فيه نفايس الاوقات
وقد من الله سبحانه وتعالى باستخراج اربعين حديثا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في فضل العلم وتعلمه وتعليمه وفضل العلما لتكون ذلك معونة للطالب وحثا له
على تحصيل المقصد والمارب اسال الله تعالى ان ينفع به قاريه ومطالعه وينفعني
به في الدنيا والاخرة بحق محمد واله امين الحديث الاول عن مالك الاشجعي رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم مسئلة من العلم قلده الله تعالى
يوم القيمة الف قلادة من نور وغفر له الف ذنب وبنا له مدينة في الجنة
من ذهب وكتب له بكل شعرة على جسده حجة وعمرة الحديث الثاني عن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة
شجرة لها ثمر كثدي النسا تظل العلما والمتعلمين ويسقيهم والناس عطاش الحديث
الثالث عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم افضل الاعمال ثلثة على ظهر الارض طالب العلم والجهاد والكسب
فطالب العلم حبيب الله والغازي ولي الله والكاسب صديق الله الحديث الرابع
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله يفتح ابواب السما لدعا العالم وباب من العلم يتعلمه المومن خير له من عبادة
سنة الحديث الخامس عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكرم البيوت على وجه الارض خمسة بيت الكعبة وبيت

المقدس والمساجد وبيت التايبين وبيت يقرا فيه كتاب الله عز وجل والعلم
واكرم الرجال على الله تعالى بعد الانبيا التايبون النادمون واكرم النسا
بعد نسا الانبيا المطيعات لازواجهن الساكنات الجالسات في بيوتهن والندامة
توبة ومن بكى على نفسه من خشية الله دخل الجنة ضاحكا الحديث السادس
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت همته
طلب العلم سمي في الدنيا حيا وكانت له بكل شعرة على جسده ثواب نبي وكانما اعتق
بكل شعرة على جسده ثواب نبي وكانما اعتق بكل قدم يمشي اليه رقبة
وبنى الله له بكل عرق على جسده مدينة في الجنة ويدخل الجنة مع النبيين بغير حساب
الحديث السابع عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كانت فيه طلب العلم صافحته الملئكة يوم القيمة وان جبريل وميكايل
واسرافيل يستغفرون لطالب العلم الحديث الثامن عن عايشة رضي الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت جبريل عن ثواب العلما
فقال يا محمد ان لله عز وجل مدينة تحت العرش من مسك اذفر حولها جنان
وانهار في جوفها سبعون الف مدينة من جوهر واحد كل مدينة منها الف الف
بيت طول كل بيت الف ذراع وعرضه مثل ذلك في كل بيت الف زاوية
في كل زاوية الف سرير ومن السرير الى السرير الف فرسخ وعلى كل سرير
الف فراش فوق كل فراش الف جوزا من الحور العين على كل واحدة الف حلة لا يواري
الحلة الحمرا ولا يواري اللحم العظم ولا يواري العظم المخ يرى بعضها من بعض
كما يرى السلك في الياقوت البيضا على راس كل واحدة تاج الاوفر وابه من
المسك والعنبر يعطي الله تعالى يا محمد هذا الثواب وافضل من هذا العالم والمتعلم
وعلى كل مدينة ملك قايم يقول كل يوم الا من زار علماي فقد زار انبيايي

ومن زار ايماني فقد زار الله ومن زار الله تعالى فله الجنة ومن نظر الى وجه العالم
فقد نظر الى وجه محمد صلى الله عليه وسلم الحديث التاسع عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن مسعود جلوسك ساعة في حلقة
العالم لا تمس قلما ولا تكتب حرفا خير لك من عتق رقبة ونظرك الى وجه العالم
خير لك من الف فرس في سبيل الله وتسليمك على العالم خير لك من عبادة الف سنة
الحديث العاشر عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم الهدية كلمة الحكمة يسمعها الرجل فيهديها الى اخيه المسلم ومن تعلم كلمة من العلم فكانما
اعتق رقبة شراوها الف دينار عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا حمل الرجل الكلمة الى اخيه المسلم كان خيرا له من سبعين حجة وعمرة
وكان خيرا له من عبادة الف سنة وكتب له بكل شعرة على جسده مائة حسنة ٥
الحديث الحادي عشر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكتبوا هذا العلم من كل فقير ومن كل صغير وكبير ومن ترك العلم
من اجل ان صاحب العلم كان فقيرا او كان اصغر منه سنا فليتبوا مقعده من النار
الحديث الثاني عشر عن حسان بن عطيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لم يحزن لموت العالم فهو منافق ملعون وانه لا مصيبة اعظم من مصيبة
موت العالم واذا مات العالم بكت السموات والارض وسكانها سبعون يوما
وما من مومن يحزن لموت العالم الا كتب الله له ثواب الف عالم والف
شهيد ورفع له عمل الف شهيد الحديث الثالث عشر عن ابي امامة الباهلي
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا العلم قبل ان
يفقدوا فان ذهاب العلم ذهاب حملته الحديث الرابع عشر عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل العبادة طلب العلم

الحديث الخامس عشر عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالسوا العلماء وزاحموهم بركبكم فان الله تعالى يحيي القلوب الميتة
بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل المطر الحديث السادس عشر عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع العالم والعابد
على الصراط قيل للعابد ادخل الجنة بعبادتك وقيل للعالم قف واشفع لمن احببت
وانك لا تشفع في احد الا شفعت فيه مقام الانبيا الحديث السابع عشر عن
ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم
لغير وجه الله لم يخرج من الدنيا حتى ياتي عليه العلم يكون لله عز وجل ومن طلب
العلم ولم يعمل به فهو كصائم نهاره وقائم ليله فان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له
من ان لو كان له ابو قبيس ذهبا فانفقه في سبيل الله تعالى الحديث الثامن عشر
عن حسان بن عطيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خدم عالما سبعة ايام فقد خدم الله تعالى سبعة الاف سنة واعطاه الله بكل
يوم ثواب الف شهيد الحديث التاسع عشر عن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج العبد في طلب العلم حتى يعتقه الله من النار
قبل ان يخرج اربعين سنة الحديث العشرون عن ابن عمر بن الخطاب رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتقر صاحب العلم فهو
منافق ملعون في الدنيا والاخرة الحديث الحادي والعشرون عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتقر صاحب العلم فقد
احتقرني ومن احتقرني فله النار الحديث الثاني والعشرون عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى خطوتين في طلب العلم
او جلس في حلقة العلم مقدار فواق ناقة وجبت له الجنة الحديث الثالث والعشرون

عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت
جبريل عليه السلام عن صاحب العلم فقال هو سراج امتك في الدنيا والارض طوبى
لمن عرفهم والويل لمن انكر معرفتهم او بغضهم ومن احبهم شهدنا له بالجنة ٥
ومن بغضهم ابغضناه وله النار ومن دخل النار وبغض العلما في قلبه بقي فيها ابدا ٥
الحديث الرابع والعشرون عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم العالم كالذهب والمتعلم كالفضة وساير الناس كالرصاص لا خير
فيهم الحديث الخامس والعشرون عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا هذا العلم فان ملئكة في السما السابعة
يستغفرون للفقهاء والمتعلم ويعطيهم الله عز وجل بكل حرف ثواب نبي
من الانبيا ويكتب الله لهم كل يوم الف حسنة ويرفع لهم كل يوم عمل الف شهيد
الحديث السادس والعشرون عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا جلس المتعلم بين يدي المعلم فتح الله عليه سبعين بابا من الرحمة
ولا يقوم من عنده الا كيوم ولدته امه واعطاه الله بكل حرف ثواب سبعين شهيدا
وكتب له بكل حديث عبادة سنة وبنا الله له بكل ورقة مدينة في الجنة مثل الدنيا
عشر مرات الحديث السابع والعشرون عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المشي بين يدي الكبراء من
الكباير ولا تمشي بين يدي الكبرا الا ملعون قال جابر قلت يا رسول الله
من الكبراء قال العلماء والصالحون الحديث الثامن والعشرون عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسك ساعة عند
العلما احب الى الله من عبادة سنة في بيت الله الحرام وزيارة عالم احب الى الله من
عبادة سنة في بيت الله الحرام وزيارة عالم احب الى الله عز وجل من سبعين طوافا حول

البيت وافضل من سبعين حجة وعمرة مبرورة وكتب الله له بها في كل حرف ثم كتب سبع حجات
وعمرات ورفع له درجة وانزل عليه الرحمة وشهدت له الملئكة ووجب له الجنة الحديث
التاسع والعشرون عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيمة جمع الله العلما فيقول لهم الجبار عبادي اني اريد لكم الخير الكثير بعد ما انهم
يحملون الشرع من قبلي ولكرامتي وبهتدي الناس بكم فابشروا فاني قد غفرت لكم وقبلت
اعمالكم ولكم في الناس شفاعة مثل شفاعة انبيائي واني عنكم راض ولا هتكت ستوركم
ولا فضحتكم في هذا الجمع يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى للعالم
قال رجل من القوم هذا للعالم فما للمتعلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم العالم والمتعلم
في الاجر شريكا الحديث الثلاثون عن مالك بن دينار رضي الله عنه يرفعه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعان طالب العلم اعطاه الله كتابه باليمين
ومن احب طالب العلم فقد احب الانبيا ومن احب الانبيا كان معهم ومن ابغض
طالب العلم فقد ابغض الانبيا ومن ابغض الانبيا فجزاوه جهنم وان لطالب العلم شفاعة كشفاعة الانبيا
وله في جنة الماوى ثلثون الف درجة من ياقوت حمرا وله في كل درهم انفقه
في طلب العلم من الحور العين بعدد نجوم السما وبعدد الملئكة ومن صافح صاحب
العلم حرم الله جسده على النار ومن اعان طالب العلم كتب الله له براة من النار
وان طالب العلم اذا مات غفر لمن حضر جنازته وقالوا لمالك بن دينار يا ابا يحيى رب
طالب علم يطلبه للدنيا لا للاخرة فقال ويحكم ليس يقال طالب علم ولا يقال طالب دنيا
الا ان ذهاب العلم ذهاب العلما ومن اذى طالب العلم لعنته الملائكة ويلقى الله يوم
القيمة وهو عليه غضبان الا وان من اعان طالب العلم بدرهم بشرته الملئكة عند
نزع روحه بالجنة وفتح باب من نور في قبره الحديث الحادي والثلاثون عن حفصة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طالب العلم افضل عند الله

المجاهدين والمرابطين والحجاج والمعتمرين والمجاورين يستغفر لهم الشجر والحجر والرياح والحجاج والعمار والمعتكفون والنجوم والنبات وكل شي طلعت عليه الشمس والقمر **الحديث الثاني والثلاثون** عن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت جبريل عليه السلام فعلما العلماء اكرم على الله ام الشهدا فقال لعالم واحد اكرم على الله من عشرين الف شهيد فان تم فدا العلما الانبيا واقربا الشهدا العلما **الحديث الثالث والثلاثون** عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى طلبة العلم وما من طالب علم يختلف الى باب عالم الا كتب الله بكل خطوة مدينة وتستغفر له الارض ويقول الملئكة هولاء عتقاء الله تعالى من النار **الحديث الرابع والثلثون** عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجي يوم القيمة دم الشهدا ومداد طالب العلم هكذا قال ابن المسيب وفرق الاصبعان السبابة والوسطى **الحديث الخامس والثلثون** عن عمرو بن دينار رضي الله عنه يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم لان اتعلم مسئلة من العلم احب الي من ان اصلي الف ركعة **الحديث السادس والثلثون** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم رجلا او امراة على كبر سنهم اية من كتاب الله كساه الله يوم القيمة حلة من حلل الجنة خيرا له من الدنيا فيها ثلث مرات **الحديث السابع والثلثون** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم القران بعد اجلاله اعطاه الله بكل حرف خمسين الف حسنة ويمحى عنه خمسين الف سيئة ويرفع له خمسين الف درجة **الحديث الثامن والثلثون** عن ابن عباس رضي الله عنهما وانس بن مالك رضي الله عنه قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعلم

القران في كبره ثم حفظه وجهد على تعليمه فان ضمنته لحرمة الانبيا ويكون معي في الجنة ويرفع له في كل يوم ثواب سبعين بما صدقا وسبعين شهيدا ويشفع يوم القيمة في سبعين الف امة كل امة سبعون الف انسان ولا يمر على شي الا يستغفر له كل حجر ومدر وجبل ودابة وطير وكان في ضمان الله تعالى حتى يتوفاه الله تعالى ويدخله الجنة **الحديث التاسع والثلاثون** عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا القران باطنا وظاهرا حتى يختمه غرس له شجرة في الجنة لو ان غرابا افرخ في ورقة منها ثم نهض ان يطير لا يدركه الهرم قبل ان يقطع ظل تلك الشجرة **الحديث الاربعون** عن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم القران في كبره حشره الله يوم القيمة مع الانبيا ويعطي ما يعطى الانبيا ويعطيه الله بكل حرف في الجنة مدينة من نور في كل مدينة الف قصر من نور في كل [illegible] الف بيت من نور في كل بيت الف سرير من نور على كل سرير زوجة من الحور العين في كل بيت الف مائدة من نور على كل مائدة قصعة من نور في كل قصعة الف لون من الطعام وهو من اقرب الناس منزلا الى الله تعالى ويشفع يوم القيمة في سبعين الف امة كل امة سبعون الف انسان وقال صلى الله عليه وسلم من قرا القران فظن ان الله تعالى لم يغفر له فهو من المستهزئين بايات الله

تمت الاحاديث والحمد لله وحده

وصلى الله [illegible] محمد واله وصحبه وسلم

لكمده

القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي كان امام [illegible] الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وايامهم وانسابهم وصنف المصانيف [illegible] [illegible] كمل به المعلم في شرح مسلم للمازري ومنها مشارق الانوار [illegible] في تفسير غريب الحديث وشرح حديث ام زرع شرحا مستوفى وله كتاب سماه كتاب [illegible] [illegible] وفوايد وبالجملة فكل تواليفه بديعة ذكره ابو القاسم بن بشكوال في كتاب الصلة [illegible] [illegible] عن جماعة وجمع من الحديث كثيرا وكان له عناية كبيرة واهتمام [illegible] في العلم والذكاء والتيقظ والفهم [illegible] قضى بلده مدة [illegible] [illegible] جميلة [illegible] [illegible] كلامه ولقد [illegible] [illegible] ما رواه عنه ولده [illegible] ابي عبد الله محمد [illegible] قال انشدني ابي [illegible]

[illegible] [illegible] والنعرهن [illegible]

• نظر الى الربع وخامائه [illegible]

• كتبته حرامه ومنه [illegible]

[illegible] القصبة [illegible] من الريح [illegible] الا [illegible]

• الله يعلم انى منذ [illegible]

• ولو قدرت ركبت البحر نحوكم [illegible]

وكان مولد القاضي عياض بمدينة سبتة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ودفن بباب [illegible] داخل المدينة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ضم الصاد المهملة [illegible] [illegible] [illegible] مشهورة بالمغرب وكذلك غرناطة [illegible] [illegible]